الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (L: M;D)

تخصص لسانيات تطبيقية

الموسومة بـ

معجم المصطلحات الطوبونيمية بزوايا الغرب الجزائري
ـ معسكر ومواقعها أنموذجا ـ

إعداد الطالبة:
زرقوق فاطمة الزهرة

إشراف الأستاذ الدكتور
غيثري سيدي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. سليمة دالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ. د. سيدي محمد غيثري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
د. عبد الكريم مكي	أستاذ محاضر "أ "	جامعة تلمسان	عضوا
د. بوسعيد جميلة	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
أ. د. عبد القادر بوشيبة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي –مغنية	عضوا

السنة الجامعية: 2022 / 2023

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الإهداء

إلى الكلمة الطيبة التي عانقت سمعي وسكنت داخلي...

إلى الابتسامة التي زرعت في نفسي الأمل، وسمحت لروحي الغوص في محراب الوجود....

إلى الأرواح الطيبة التي ملأت حياتي بهجة، ونشرت السعادة في قلبي رغم أسراب الشقاء....

إلى الوالدين العزيزين الطيبين اللذين لا يزال حبهما ينير بصيرتي وقربهما يضيء دربي وينعش عزيمتي...

إلى كل الذين يمثلون القيم النبيلة السامية أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

المقدمة

عرف الإنسان منذ بداية التاريخ اهتمامه وحبه الشديد لمعرفة الأسماء تعيّن له الأشياء وتخصصها، ولا يمكن أن تتخيل البشرية عالما بدون أسماء، فالأسماء ملازمة للوجود الإنساني.

فأسماء الأعلام والأماكن وكل ما في الوجود هي ضرورة في حياة البشرية، ولا يحصل التفاهم والتواصل بغير الأسماء مطلقا، كما أن هده الأسماء نعتبر دليلا على الحضارة عبر التاريخ الإنساني. فالأسماء علامة على كل ما في الوجود فهي معالم الهوية والانتساب الفردي والجماعي، فالاسم جزء من المنظومة اللغوية في أي أمة من الأمم، فهو ليس تصورا لغويا أو شكلا رمزيا خاليا من مضمونه، بل يحمل في عمقه تعبيرا صريحا عن معناه ودلالته اللغوية في نطاق المفردة والتصور الذهني لهده المفردة أو تلك، فهو بذلك ليس قالبا خاليا من الدلالة، وهو بذلك يشكل خطابا متكاملا وحصريا على المعاني المرتسمة في الصورة الذهنية.

يتناول هذا البحث قضية من القضايا المهمة على الواقع الجغرافي والتاريخي، ويهتم بالمواقعية وأثرها التاريخي والتراثي وارتباط ذلك بالهوية والانتماء الحضاري، ويتناول أيضا الواقع اللغوي وأصول التسمية، كما يترتب على ذلك الحرص على اسم المكان وتفسيره وتعيينه من حيث الدلالة اللغوية، ولما كانت الجزائر بحكم تاريخها العريق، وأصولها الحضارية، فإن وجود معالم أثرية بها دليل على تعاقب الأمم والشعوب، وعلى تتابع الحضارات المختلفة، ولما كانت الزاوية هي أحدى الرموز الحضارية والدينية والتاريخية فكان من الضروري البحث عن أصولها ومصادرها وأبعادها، لهذا جاءت الدراسات

مستفيضة في هذا المجال، وكثيرة هي البحوث أيضا التي تناولت التصوف في الجزائر بناء على كثرة الزوايا وانتشارها في الجزائر.

فجاء بحثي هذا جزء من هذه المنظومة البحثية الذي سأتناول فيه زوايا الغرب الجزائري، وعلى جهة الخصوص زوايا مدينة معسكر، لكن ليس مجال إحصاء فحسب بقدر ما هو دراسة طوبونيمية مواقعية في أصول الأسماء والمسميات، فكان عنوان البحث: "صناعة معجم طوبونيمي لزوايا الغرب الجزائري معسكر أنموذجا". والقصد من ذلك وضع معجم إحصائي في إزالة الغموض عن أسماء الزوايا الموجودة في غرب الجزائري بما في ذلك مدينة معسكر.

إن هذه الدراسة اعتبرها جزء لا يتجزأ من الدراسات الأكاديمية السابقة التي قام بها العديد من الباحثين، وخاصة في الآونة الأخيرة في تضافر المعارف وتناسقها خدمة للمادة العلمية وتقريبها للدارس والاستفادة منها على صعيد فروع المعرفة، فالدراسة المواقعية كما سوف أقدمه في هذا البحث هي محاولة مني قدر الاستطاعة من أن أتناول فيها أصل أسماء العديد من زوايا الغرب الجزائري وبخاصة أسماء ومعاني زوايا معسكر، وأصل انتمائها وتسميتها يشكل عنصرا حضاريا تتمتع به المنطقة، ودون إغفال الأماكن التي تواجدت بها هذه الزاوية أو تلك، وبخاصة في رفع اللبس عن اسم المدينة وأصل تسميتها، سواء الاسم العربي أو الأجنبي ، وهذا كله قصد تحديد الأصول الحقيقية للمكان، دون نسيان التطورات التي مرت بها، سواء في النطق أو في الدلالة.

وقد قسمت موضوع البحث إلى مدخل وثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة، وفهرس شامل للمصادر والمراجع مع محتويات الرسالة.

تضمنت المقدمة شرحا عن خطّة البحث وأسباب اختيار الموضوع، والدوافع التي دفعت إلى هذا البحث، مع الإشارة إلى صعوبته بسبب قلة المراجع والمصادر، وقلة البحث فيه لجدته وحداثته، وأيضا لاشتراكه مع جملة من العلوم الإنسانية والاجتماعية، مع التطرق لإشكالية البحث ومصادره ومراجعه، ثم المنهج المتّبع في الدراسة.

ففي المدخل وضحت الإطار التاريخي للطوبونيميا بدءا بالمفهوم والنشأة، ثم بمهامها ووظيفتها العلمية وتطورها في ظل الدراسات اللسانية، وفي علاقتها مع تلك الروابط التي تجمعها بالمنحى التاريخي والجغرافي، معتمدا في ذلك على ما ورد من عناصر متمثلة في الطوبونيميا وتاريخ الحضارات. كما تعرضتُ في المدخل أيضا إلى المعجم الطوبونيمي ودوره في التسمية وتحديد الأماكن، ثم في الطوبونيميا وعلاقتها بجغرافية الزوايا، إلى التأكيد على الربط بين الطوبونيميا والرواية الشفوية، ثم أشرت إلى العلاقة بين المعجم الطوبونيمي والتاريخ الجماعي. وفي الأخير ختمت مدخل البحث باللسانيات الحاسوبية وعلاقتها بالإحصاء الطوبونيمي.

أما الفصول الثلاثة فحاولت من خلالها ربط الموضوع بكامله من حيث عناصره، بدءا بالمعجم ودراسته من مختلف جوانبه، ووصولا إلى ربط المعجمية بالتاريخ الحضاري والإنساني والاجتماعي بزوايا الغرب الجزائري. وفيه تفصيل

بما يحيط بحاضـرة مدينة معسـكر ودواويرها وأعراشـها وقبائلها ومختلف زواياها من منظور طوبونيمي.

فالفصـل الأول هو دراسـة شـاملة في المعاجم والمعجمية مشـتملا على أربعة مباحث رئيسة، المبحث الأول دراسة عامة للمعاجم العربية واصطلاحاتها اللغوية، والمبحث الثاني المعجم العربي النشـــأة والتطور، أما المبحث الثالث الصـناعة اللغوية والاصـطلاحية للمعجم. أما بخصـوص المبحث الرابع ولأخير فقد وسمته المعجم الطوبونيمي ودلالة المكان.

وكل مبحث من هذه المباحث جاء مقســـما بين عنصـــرين إلى أربعة عناصر حسب ما يتطلبه المبحث من تفريعات جانبية.

أما الفصـــل الثاني تطرقت من خلاله إلى زوايا الغرب الجزائري بين الجانب الجغرافي المواقعي وبين الجانب التاريخي، ووســـمته " زوايا الغرب الجزائري بين الدور التاريخي والتواجد الجغرافي"، تطرقت فيه إلى العلاقة بين الدلالات القائمة بين زوايا الغرب الجزائري ســـواء تعلق الأمر بين المدلول الجغرافي والتاريخي. وقسـمته إلى أربعة مباحث أيضـا، المبحث الأول الزوايا بين الدلالة اللغوية والدلالة والمفهوم الاصـطلاحي، ثم انتقلت في المبحث الثاني للحديث عن الزوايا والتراث التاريخي، أما المبحث الثالث، فالحديث فيه كان حول الزوايا ومنابر التأسيس الصوفي في الجزائر متطرقا بالخصوص إلى زوايا الغرب الجزائري في خضـم الاسـتعمار الفرنسـي ومواكبة الحركة الوطنية، وإنهاء الفصـــل بالمبحث الرابع والأخير وهو التشـــكيل المكاني للمواقع الجغرافية لزوايا الغرب الجزائري والحرص على تحليل التواجد الطوبونيمي لهذه الزوايا، ثم قسمت

كل مبحث إلى تفريعات تتعلق به. لأختم الفصـــل ببعض الصـــور والخرائط والجداول لأهم زوايا الغرب الجزائري.

أما الفصل الثالث فخصصته لزوايا معسكر دراسة طوبونيمية، وقسمت هذا الفصـل إلى سـتة مباحث: الأول معسـكر التاريخ والتصـوف، أما المبحث الثاني الزوايا وحاضـرة معسـكر التاريخية، أما المبحث الثالث أسـماء المواقع لمدينة معســكر، أما المبحث الرابع فخصـــصـــته لعروش ودواوير معســكر ومسـمياتها الطوبونيمية، أما المبحث السـادس والأخير فهو بخصـوص الزوايا وطرق التصوف في حاضرة معسكر وطوبونيمية الأسماء، وقسمت كل مبحث إلى نقاط أساسية.

وختمت البحث بخاتمة تضـمنت أهمّ النّتائج متوصـل إليها من خلال هذه الدراسة.

والهدف من هذه الدراســـة هو الوقوف على العلاقة بين الاســـم والمكان المسمّى به دراسة تاريخية وجغرافية. وكذا الإجراء الوصفي مع الاستعانة ببعض الطّرق التي تساعد على استخلاص النّتائج وكل ذلك بالتّحليل والتّعليل والتّفسير وغيرها.

اعتمدت في هذا البحث أيضـــا على المؤلفات الحديثة كمعجم قبائل ودواوير الجزائر الذي أشرف عليه لومير دي فيلر، وترجمه حمزة الأمين يحياوي ومالك بن خيرة والذي يحصـي كل قبائل الجزائر ببطونها وفرقها وعدد سكانها، ويحصـي كل الدواوير والقرى والبلديات وهو مزوّد بخرائط مفصلة للقبائل وأمكنة تواجدها ودواويره وكذلك معجم الأسماء الجزائرية للمواقع المأهولة Dictionnaire

de toponymie algérienne des lieux habités لمؤلفه فضـيل شـريقان، مسـتعينا أيضـــا بمؤيد صـــلاح العقبي في كتابه الطرق والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشـاطها" وعلى عدد كبير من المصـادر والمراجع القديمة منها والحديثة، كما هي واردة في فهرس المصـــادر مع بعض الأطروحات الجامعية، مع العديد من المقالات التي لها صـــلة بالموضـــوع، وتمحورت بحوثها حول الدراســـات الطوبونيمية، دون أن أنسـى بعض السـماعات الشـفهية المنقولة بالتواتر، وهذه كلها جعلتها القاعدة الأساسية في قيام البحث.

كما كان التركيز أساسا على المعاجم الطوبونيمية المتخصصة وإشكالات الرقمنة، التسـويق الإلكتروني للمعاجم الطوبونيمية المرقمنة وطنيا ودوليا، نماذج رائدة في الرقمنة الطوبونيمية، الخرائط والرقمنة. التطبيقات التكنولوجيا المسـاعدة في الصـــناعة المعجمية الطوبونيمية (Google earth Googlemaps) –والمهم في ذلك الجانب التطبيقي: طوبونيميا الزوايا في الغرب الجزائري بمدنه التسـع وهران مستغانم تموشنت بلعباس سعيدة تيارت تلمسـان غليزان. مع إحصـاء وجرد هذه الزوايا تاريخيا وجغرافيا مع إرفاقها بخرائط وصـور قديمة أو جديدة. كما اعتمدت عن بعض الشـهادات الشـفهية المتناقلة عن الأسـلاف، وبعض الإشـارات عن طريق وســـائل التواصـــل الاجتماعي للاســـتئناس بها بعد التحقق منها وتتبع حقيقتها.

فذكر الأســـماء وتحديدها دليل على أن هذه القدرة البشـــرية قادرة على التصـنيف وصـولا إلى كل ما يحيط بها في هذا العالم الممتد، والمنظومة اللغوية المعجمية سـاعدت هذه الأسـماء وقدمت لها تفسـيرا ينطبق عليها، ومع التقدم

المعرفي أصبحت المعرفة الإنسانية بحاجة ماسة إلى تفسير هذه الأسماء المحيطة بها ومعرفة أصولها ومدى مطابقتها للواقع.

ومن الطبيعي أن أي باحث تواجهه صعوبات تعترضه لاسيما إذا كان الموضوع جديدا. ومن بين أهم هذه الصعوبات طبيعة الدراسات الطوبونيمية التي تتطلب الدقة في المعلومات، والخوض في جزئيات لا يمكن للموضوع أن يستغني عنها عندما يتعلق الأمر بمدينة، أو منطقة جغرافية محدودة، كمدن الغرب الجزائري ومدينة معسكر التي شهدت أحداثا مرتبطة بالتاريخ قديمة وحديثه.

واعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي أولا أي وصف الظاهرة المكانية وبالاعتماد على المنهج المقارن كلما دعت الضرورة في اختلاف ظاهرتين متباينتين.

وأخير أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم بالمساعدة لإنجاز هذا البحث سواء بالوثائق أو المراجع والمصادر، وبخاصة القائمين على المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية معسكر، كما لا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر لبعض شيوخ الزوايا وطلبتها، دون أن أنسى مديريات الشؤون الدينية في تقديم اليسير من المساعدة.

وممن أسدي له شكري إلى الأستاذ المحترم المشرف على أطروحتي الأستاذ غيثري سيدي محمد الذي لم يبخل على بملاحظاته وتوجيهاته ومتابعته لهذا البحث.

أرجو أن أكون موفقة في إخراج هذا البحث إلى الوجود قدر اســـتطاعتي وقدر ما ســخرت له لي البحوث المطبوعة والتوجيهات التي اسـتقيتها من بعض الأســاتذة، ومن خلال ما اســتفدته من الملتقيات والندوات والمناقشــات المتعلقة بالموضوع.

ولله الحمد والثناء والمنة، وهو الموفق للصواب.

تلمسان 23 / ماي / 2023

الباحثة: زرقوق فاطمة الزهرة

المدخل

التواجد الطوبونيمي والتصور الجغرافي التاريخي

تمهيد:

قبل استقصاء المفهوم الاصطلاحي أو المعرفي للطوبونيميا أنها تحديد لأسماء المكان الذي يظهر في تحديد أصلها اللغوي وتتداخل مع العلوم البينية التي تتداخل أيضا فيها العديد من القضايا، وفي هذا البحث الذي يجمع بين الواقع المعرفي للتصورات المنهجية التي تربط بين صورة العالم الروحي للزوايا والعالم المكاني لها تتدخل الطوبونيميا في الربط بينهما، وهذا الربط قليلا ما يكون بين المكان والحالّ فيه، فيسرح بنا هذا العمل إلى جعل الدراسة الطوبونيمية أحد الدراسات والبحوث التي نربط بها بين جوهر التاريخ وبعد الجغرافيا، وأن للمكان قدرته الروحية وليس وجوده عبثا أو من باب الترف، لذا فكثير من الأحداث ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمكان، فلو عدنا للشعر الجاهلي لوجدنا أن القصائد القديمة جسدت الطلل ووصفته وحددته، والطلل هو المكان الذي وقفه الشاعر ومنه استوحى نصه وتجلى في معظم المعلقات والقصائد الطوال، وورد أيضا تجسيد المكان ووصفه وتحديده في كتب التاريخ القديم عند البكري وابن حوقل والإدريسي وغيرهم.

أما في نصوص القرآن الكريم، نجد العديد من الأحداث والوقائع ارتبطت بالمكان، والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل حادثة نزول آدم وحواء بعرفة، وحادثة

النبي سـليمان بواد النمل، وحادثة سـيدنا إبراهيم بواد غير ذي زرع، وكحادثتي موسـى بطور سـيناء، وبمجمع البحرين حين التقى بالخضـر عليه السـلام، وإرم ذات العماد وغيرها من الأماكن التي سـجلها القرآن وربطها بأحداث تاريخية[1]، كما ورد أيضا في السيرة النبوية بشأن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كغزوة أحـد وغزوة تبوك وغزوة حنين وفتح مكـة كمـا هو وارد في كتـب السـيرة بالتفصيل[2].

وللمكان حضـور مفصـل في تاريخ العالم العربي والإسـلامي وفي الغرب أيضا لا تزال مسجلة في تاريخ الحضارات القديمة والحديثة عبر حياة الإنسانية.

أما في تاريخ الجزائر ترتبط الكثير من الأحداث الدالة على تاريخ الإنسان كما جاء في كتب التاريخ في الإشارة إلى رجل تغنيف كأقدم إنسان[3]، وبالأحداث المرتبطة بقضـايا المقاومة الجزائرية على عهد الأمير عبد القادر بأماكن محددة كمعركة واد تافنة، ومعركة المقطع، وخنق النطاح[4]، والزمالة والعاصـمة المتنقلة تاقدامت، أو ما هو كائن في الثورات الشـعبية مقاومة المقراني وأولاد سـيدي الشـيخ وبوعمامة وغيرها الكثير، أو على أيام الثورة الجزائرية، كمؤتمر الصـومام واتفاقيات إيفيان وثورة الأوراس ومعركة المناور[5]. وغيرها من الأحداث العظيمة

---

[1] انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسـة عز الدين للطباعة والنشـر بيروت، ط3 1992، ج 4 ص 256. وانظر ابن الأثير الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3، 1980. ج 5 ص 56.

[2] انظر محمد عفيف، مختصر سيرة ابن هشام، دار النفائس بيروت ط 3 1981. ص 67.

[3] انظر مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د ت) ص 76.

[4] انظر عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت 1983، ج 3 ص 55

[5] انظر المصدر نفسه، ج 4 ص 32، 44، 62.

في تاريخ الجزائر. وكل هذه الأسماء لها علاقة بالمكان مما يزيد من خصوبة البحث الطوبونيمي وإثرائه.

تتجلى هذه المعايير عبر تاريخ الأمم التي تسجلت أحداثها بوثيقة المكان، فالكتابة في مجال الطوبونيميا يعتبر من العلوم التي ساهمت في تجسيد الأحداث وصيانتها من الضياع والتلف، وترسيخها عبر التاريخ الحضاري والإنساني، والطوبونيميا أيضا من القضايا التي لا تزال في بدايتها خاصة في مجال نقص الوثائق أو قلتها فالمكان يرسخ الحادثة ويدعم حضورها عبر التاريخ، وحتى وإن زال الأثر يبقى وجوده حاضرا عبر تاريخ الإنسانية.

أولا: الطوبونيمية وتاريخ الحضارات.

الحضارة الفرعونية ارتبطت بمصر وبمقوماتها التاريخية، وحضارة واد الرافدين ارتبطت بالدجلة والفرات وما حوته المنطقة من مواقع وآثار، فللأمكنة دور هام في تفعيل الوقائع والتواريخ فقد تتقادم الحادثة ويظل أثرها مجسدا في المكان والزمان كشاهد على الحضارة وما تحويه. وما شهدته الحضارة الفرعونية شهدت به الحضارات الأخرى الرومانية والفينيقية والوندالية والبيزنطية وحضارات إفريقية الجنوبية والسودان واليمن. وقد نجد في الدراسات القديمة اهتماما بهذا الشأن كما جاء في كتابة تحفة الألباب لأبي حامد الأندلسي وهو يتحدث عن أماكن ومواضع الأرض من السودان واليمن والمغرب وبلاد الصين وبلاد الهند ويتحدث عما فيها من المناطق وما يصلح فيها من الصنائع، يقول مثلا:" واعلم أن الأرض والجبال والبحار التي أحاط الله بها جبل قاف وما فيها من عجائب

المخلوقات في فلك القمر الذي هو أصغر الأفلاك[1]. كما تجلى ذلك بشكل لافت للانتباه في كتب الرحلات كرحلة الورثيلاني وابن زاكور والقلصـــادي والعياشـــي وغيرهم من الرحالة العرب مشرقا ومغربا.

ونظرا للدراســات النادرة وقلة المصــادر والمراجع في هذا الشــأن إلا أن الاجتهاد في استنطاق جميع الوثائق للوصول إلى بعض ما يمكن الوصول إليه في ضوء هذه القلة والندرة من الوثائق والأرشيفات كان على قدم وساق، والسعي وراء البحث واستنطاقه قد يوصل إلى بعض القضايا التي تهم الموضوع وتسعى لعلاجه وإدراجه بين ثنايا بعض المصادر القليلة.

لهذا فالبحث يندرج وراء الدراســة الطوبونيمية للمواقع زوايا الغرب الجزائر وفق المصطلح المعجمي أولا لما للدراسة المعجمية من شأن واسع الأهمية، فقد يتبادر إلى الذهن أولا صورة إحصائية لمختلف الزوايا المتواجدة بمنطقة بالغرب الجزائري، وبخاصـــة في مدينة معســـكر مع البحث عن امتداداتها التاريخية والجغرافية من ناحية التأصيل والتوثيق والتعاقب الزمني، وكذلك في التحري عن مركزها الروحي وبعدها التعليمي وفي ارتباطها الوثيق بالمكان والعلة في هذا الارتباط المتأصــل وفي الشــكل الهندســي التي تقوم عليه وبالنظر إلى البعد الفيزيائي لهذه الزوايا.

ثانيا: الطوبونيميا وعلاقتها بجغرافية الزوايا.

[1] أبو حامد، الأندلسي الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989. ص 120.

للثقافة الجغرافية بعدا تاريخيا في تخصـيص الأسـلوب الفاعل في تفعيل مسـتويات الحس المعرفي المتعلق بالبعد الجغرافي للزوايا من منظور البحث العلمي، فهذه الدراسـة تندرج في إطار الرغبة الملحة في المسـاهمة في الدرس الطوبونيمي للمواقع الجغرافية للأمكنة الموضـوعة سـلفا للجانب الروحي خاصـة في ظل الاهتمام الذي بدأته مجموعة من الفعاليات الثقافية مند عدة سـنوات. ورغم ذلك يبقى المبحث الطوبونيمي للزوايا في حاجة إلى مزيد من الدراسـة والتنقيب والبحث الدائم والمسـتمر، وذلك نظرا للغنى الكبير الذي خلفته عبقرية الشخصية العربية الإسلامية التي استطاعت أن تستمد طاقتها من تجربة كبيرة مشبعة بحضارة إنسانية ذات جذور غارقة في القدم، الشيء الذي كان له أثر كبير في المساهمة في بناء الذات الفردية والجماعية من الناحية الرمزية والمادية المشبعة بالقيم الروحية والإنسانية.

الذات الروحية –بما تحمله من قيم وجودية وحضـارية متميزة – استطاعت الحلول في مجالها الطبيعي وجعلت منه امتدادا لا يمكن الاستغناء عنه في معادلة البناء الشخصية. فالذات هي الأرض والأرض هي الذات. هذه المعادلة المشـحونة بحمولات إنسـانية عميقة كانت الدافع الأكبر نحو المباحث ذات الصبغة الطوبونيمية من أجل تعميق البحث في مسألة الاندماج الإنساني في الطبيعة واستلهامه الانطولوجي لعناصرها وخلقه الدائم والمستمر للفضاءات الطوباوية التي لا وجود لها إلا في أخيلة مخنوقة بالحدود الواقعية الأرضية.

وليس هذا الأمر إلا تعبيرا عن الرغبة الجامحة في تملك الفضاء ومحاربة القناعات المؤدية إلى الاستسلام للحقيقة الأرضية. إن توسيع الرقعة الجغرافية

وعدم الاكتفاء بالمحيط الذاتي ظاهرة إنسانية معقدة تتخذ أوجها مختلفة من أجل الانجلاء والبروز. وعرف التاريخ الإنساني محاولات دائمة للسيطرة على المجالات عبر خلق مسوغات مختلفة تختلف حسب الحضارات والأزمنة وفي هذا الإطار نسوق الحديث عن شكل آخر من أشكال الارتباط الكبير بين الذات الإنسانية والمجال حيث تتجاوز الرغبات الجامحة في الاستحواذ والتوسع المجال الفيزيائي إلى مجالات أخرى أكثر رحابة وسرمدية، مجالات لا تفنى ولا تموت ولا تندثر ولا تنزع ولا تتوزعها هواجس الحدود والتملك الطبقي. فضاءات طوباوية جامحة عبرت بصدق عن تعطش الذات إلى معانقة المجال والحلول فيه، أي الامتداد المكاني والروحي لفضاء ما بعد النهاية البيولوجية في الكثير من الديانات القديمة، بدءا بالفرعونية القديمة والديانات السماوية السابقة التي تشكل فضاءات مختلفة داعمة للنظرة الإيمانية بمقدسات المكان كمثل الفضاءات التي يكثر الحديث عنها كالجنة والنار، ووصولا إلى فضاءات الأضرحة والمزارات.

نستخلص مما سبق أن الزوايا لم تكن مجرد عنصر مكاني فيزيائي للعبادة، وأنها مجرد مكان لتحقيق الجانب الروحي والتعليمي فحسب، بل هي امتداد وجودي للذات الإنسانية. ويمكن القول إنها جزء لا يتجزأ من هذه الذات السامية حيث لا يمكن تصور هذه الذات بعيدة عن هذا الوجود الجغرافي للزاوية، وإن كلا منهما شرط لوجود الآخر. وهذا ما يؤدي إلى القول بأن الدراسة الطوبونيمية ليست مجرد دراسة لاسم المكان وتوضيح معناه، أو معاينته بقدر ما هي عبارة عن نبش في الذاكرة الحضارية والتاريخية والثقافية الخاصة بالزاوية

وبالمجموعة البشرية التي أنشأتها واتبعت طرقها. وبذلك أصبحت الطوبونيميا لدى كثير من المنتمين لهذه الزاوية أو تلك يبحثون عن الذاكرة الجماعية والتاريخية كمصدر ثري باعتباره يعتمد على مجموعة من العلوم كالتاريخ والجغرافيا وعلم العمران والهندسة وعلم الآثار.

إذن فالطوبونيميا ساهمت باعتبارها العلم الذي يعنى بدراسة أسماء الأماكن وتحليلها بالاعتماد على مجموعة من العلوم المساعدة كالتاريخ والجغرافيا والانثروبولوجيا. في دراسة مرتبطة ببعضها وذات عمق بجميع الأبعاد.

وإذا أردنا التحدث عن الأصل اللغوي للطوبونيميا / الطوبونيم نقول بأن جميع المهتمين ذهبوا إلى اعتباره اسما إغريقيا يتكون من لفظتين هما TOPOSو ONOMA الأولى بمعنى المكان أو الأرض والثانية بمعنى الاسم، ويعني هذا المركب إذن اسم المكان أو اسم الأرض. ويقول عنها الفرنسي. R Delort «الطوبونيميا دراسة أسماء الأماكن بمعنى أسماء (دوال) وضعها الإنسان ليدل بها على حقائق جغرافية (مدلولات)[1]. وكما يذهب أيضا الباحث الفرنسي Rostaing.CH إلى القول «تقترح الطوبونيميا البحث عن معاني أصول أسماء الأماكن ودراسة تحولاتها»[2]. ثم بالإضافة إلى ذلك تتبع المعارف المتعلقة بالأثريات لكونها عامل مساعد في توجيه الرؤية المكانية، فعلم الأثار (الأركولوجيا)، من خلال دراسة كل ما هو تأسيس قديم مستعينا بالأنثروبولوجيا

[1] R. Delort, Introduction aux sciences auxiliaires de l'histoire, p. 184

[2] CH. Rostaing, Les noms de lieux, p, 5.

في وضـع المقدمات الأسـاسـية للبحث الجغرافي والتاريخي، ولقد حاولت الكثير من الدراســات على الغوص في البحث في هذا المجال فيفهم بشــكل أفضــل الشـواغل المشـتركة التي يتقرر بواسـطتها رابط بين تنقيبات ذات ميادين مبعثرة زمنيا وجغرافيا[1].

ثالثا: الطوبونيميا والتاريخ الجماعي.

المبحث الطوبونيمي يعتبر من أهم المســارات المتعددة والمتنوعة لإدراك ومعرفة التاريخ الجماعي لأكثر من مجموعة بشـرية معينة وخاصـة المجموعات البشـرية التي كانت الوثيقة التاريخية المؤرخة كتابة عبر مسـارها التاريخي شـيئا مفقودا أو نـادرا كما هو الحال في البحث المقرون بالزوايا ومناطق تواجدها عبر الخريطة في الوطن الجزائري وما اســتمدته من طاقات روحية عبر تواجدها في العالم العربي الإســـلامي. حيث أن قلـة الوثيقة التاريخيـة المكتوبـة الموغلة في أعماق التاريخ هي المسـبب الأول في اكتشـاف أسـباب تأسـيس الزاوية. وهذا لا ينفي قطعا وجود مجموعة من الوثائق التاريخية المكتوبة التي لم تكن إلا وجها آخر من أوجه الأسـر المنتمية لهذا الفضـاء أو ذاك وما يحيط بهذا الفضـاء من أبعاد تاريخية بعضها ينطوي وراء الأخبار الشفهية حتى يصل بعضها للأسطورة وما يحاك حولها من أخبار. وهذا ما يشكل بشكل واضح وتام التاريخ الاجتماعي وتاريخ الجماعات.

[1] جورج ضو، تاريخ علم الآثار ترجمة بهيج شعبان، المكتبة العلمية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص46.

لم تعد المصادر التقليدية قادرة على الإلمام بالموضوع مالم تكن مستمدة قوتها من البحوث الحديثة في مجال الطوبونيميا، خاصة أن ضرورة الحث عن التاريخ القديم استوجبت السائد في المصادر البحث عن جميع الأنشطة السياسية والاقتصادية للمجتمعات القديمة والبحث عن مكوناتها، وتصبح اللغة في مثل هذه الدراسات عنصرا أساسيا وواحدة من أهم الوثائق التي يمكن أن تعين الباحث على التمكن من الحصول على المعطيات المهمة والتفاصيل الدقيقة والمفيدة التي تفتقر إليها الكثير من المصادر القديمة، وهذه فكرة قديمة أشار إليها السخاوي حيث يقول: " وأما التصانيف في التاريخ فكثيرة جدا لا تدخل تحت الحصر بحيث[1]. ويشير على أن بعض الأعلام الذين عاصروه من ملكوا نحو ألف تصنيف في التاريخ[2].

الأماكنية كما يسميها البعض لا تقتصر أهميتها على دراسة الأماكن وتحليلها فحسب، بل تدرس المجال الموقعي والطاقة الفلكية للموقع والقوة الدلائلية للمكان، مثلما عند البعض أن أسماء الأماكن في استخراج مضامينها ودلالاتها المختلفة ورموزها فهي مشحونة بالكثير من الدلالات والمعاني، كما أنها لا يمكن أن تكون علما بمعزل عن الاتجاه الإيديولوجي السياسي ولا تكن خالية من أي تأويل خاص بالمنظور السياسي الذي يركز على التصورات ذات الأبعاد.

رابعا: مسار التحليل الطوبونيمي.

[1] لسخاوي، الإعلان بالتوبيخ بمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1979، ص 84.

[2] المصدر نفسه ص 84.

لا يمكن بـأي حـال من الأحوال أن نعتبر التحليلات التي يقوم بهـا المهتمون بهذا العلم ناتجة عن أساسات أكاديمية ونظرية فقط بعيدا عن قصدية براغماتية إما بشكل مقصود أو غير مقصود. وفي هذا الإطار مثلا نتحدث عن الاتجاه الرسمي أو المقاربة الرسمية في التعامل مع جميع مناحي الحياة العلمية والسياسية وكذلك المقاربة التقليدية مثلا أو السلفية والانفصالية الثورية. وبذلك فإن المبادلات الرمزية الإنسـانية بمختلف تشـكلاتها وتحقيقاتها تكون عرضـة للخضوع للطموحات ذات الصبغة البراغماتية السياسية، خاصة إذا تعلق الأمر بدراسـة الذاكرة الجماعية الخاصـة بالمجموعات البشـرية التي تقع بين إطار سـلطوي ذي إيديولوجية إقصـائية لا علمية وواقع أصـيل أو إيديولوجية محلية مهمشـة. وفي هذا الصـدد يكون المنتوج الأكاديمي عرضـة للتسـويق السـياسـي الذي يخضـع بالضـرورة لاعتبارات براغماتية هي في جوهرها شـرط لممارسـة الحياة في المجتمع الحديث.

ونعتقد أن الحديث عن الممتلكات الرمزية في المجال التاريخي يسـتلزم اسـتحضـار مقاربات عديدة متصـارعة ومتنافرة تحكمها قواعد سـياسـية وأخرى علمية وفية لإيديولوجيات استئصالية وذلك وفق ظروف سياسية وتاريخية معينة. من جملتها المقاربة الرسـمية ذات الامتداد السـياسـي المهيمن، والذي كان وفياً لإطاره المذهبي القاضـي بعروبة القطر الجزائري وانتمائه اللامشروط إلى حظيرة الأمة العربية. الشـيء الذي كان له كبير الأثر في غض البصـر عن المقاربات الأكاديمية العلمية في التعامل مع معطيات الواقع الذي ينضـح بحقائق معاكسـة للرياح التي تشـتهيها السـفن الرسـمية. لأجل ملاءمة هذا التصـور بمعطيات

المجال الواقعية التي تؤشـــر على هوية مخالفة تماما للهوية التي تقوم الجهات الرسمية بتسويقها وفي خضم مسلسل التعريب الشامل للبشر والحجر والشجر الذي أخذته حكومة ما بعد الاســتقلال على عاتقها بواســطة اســتغلال حوامل التأثير الجماهيرية (النظام التربوي، القطاع الســـمعي البصـــري وغيرها)، تم الإجهاز على الطوبونيمي العربي الأصلي المتجذر وتعويضه بطوبونيميا يتناغم والالتزامات الرسمية الكبرى.

حين يتعلق البحث بتفســـير الكثير من المحطات التاريخية للزوايا الجزائرية وبخاصـــة الغرب الجزائري وبالتحديد الواقعة في مدينة معســـكر فإن الطوبونيميا أو مبحث الأماكنية كان لها الأداة القوية من أجل البرهنة على التجذر التاريخي للزوايا وعلاقتها الأصـــلية بالمكان وحدود الاتجاهات، وهذا الدليل على التفاعل التاريخي بين الإنسان والمكان. ومن هنا نعتبر الحديث عن الطوبونيميا لزوايا الغرب وجها من أوجه رد الاعتبار للشخصية الدينية الجزائرية المتجذرة في التاريخ والتي كانت وراء بناء التصـــوف الروحي في ارتباطه بالقيم الأخلاقية وتفاعل هذه الزوايا مع العديد من الزوايا المجاورة وأن لكل زاوية أورادها الخاصة.

أســـماء الأماكن للزوايا الواردة في هذه الدراســـة توجد كلها على الرقعة الجغرافية لمنطقة الغرب الجزائري وهي المنطقة الواقعة على حدود المغرب الأقصـــى وتمتد إلى غاية تيارت شـرقا وفي حدود الأغواط جنوبا ومع الشـريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط شمالا، وهي أماكن تتشكل في تضاريسها بين سهول وهضاب وتلال وجبال.

أما إداريا تضـــم عدد من المدن مســـتغانم ووهران وتموشـــنت من ناحية الشمال ومدينة بلعباس وتلمسان غربا، ومعسكر وسعيدة وتيارت جنوبا فهذه كلها مدن الغرب الجزائري.

فهذه المنطقة الغارقة في القدم تعد من بين أكبر المواقع التي كان لها شـأن عظيم عبر التاريخ، وقد تحدث عنها كثير من المؤرخين، فقد تحدث عنها ليون الإفريقي[1]، وابن خلدون[2]، ووجدت كثير من البحوث التي اهتمت بالمغرب الكبير ووضـــعت لتاريخ الجزائر الجغرافي أهمية فاهتدى رشـــيد الناضـــوري في كتابه " المغرب الكبير العصور القديمة[3]، حيث يتناول المكان حضاريا وسياسيا ويتبعه في ذلك الباحث جلال يحي في كتابه المغرب الكبير في العصـــور الحديثة [4]، فيتطرق إلى الفترة العثمانية التي عرفت ظهور البوادر الأولى لنشـأة الزوايا ونشأتها ومعها نشأت الطرق الصوفية.

ثم إن هذه المنطقة تتمتع بثرواتها وظروفها الطبيعية الملائمة لجميع النشـاطات الإنسـانية مما جعلها قطبا اقتصـاديا يسـتقطب مجموعات بشـرية مختلفة، الشـــيء الذي كان له أثر كبير على مســـتوى الإرث الرمزي والمادي

[1] انظر الحسن الوزان (ليون الإفريقي) وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط3، 1983، ج1، ص305.

[2] انظر عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ بن خلدون)، وضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط. 2010، ج1، ص882.

[3] رشـيد الناضـوري، المغرب الكبير (العصـور القديمة) دار النهضـة العربية بيروت 1981، ج1 ص 131.

[4] جلال يحي، المغرب الكبير (العصور الحديثة) دار النهضة العربية بيروت 1981، ج 3 ص 332.

للمنطقة. كما كانت هدفا استعماريا للقوى الاستعمارية التي عرفتها الجزائر دوما.

ونشير إلى أن البحث في أسماء الأماكن والزوايا بمنطقة الغرب الجزائري عمل يحتاج إلى كثير من الجهد والعناء بسبب شساعة الرقعة الجغرافية وكثرة أسماء الزوايا والأضرحة والمقامات وتنوعها. وبذلك كان الاقتصار على زوايا معسكر باعتبارها حاضرة تاريخية سياسيا ودينيا فوقفنا على عينة بسيطة من زواياها خاصة تلك التي اعتمدت على الطرق الصوفية ووجهت جهدها نحو تلقين المعرفة العلمية والروحية. وقد تأسست على التنوع الكبير والغنى الذي يميز بعضها عن بعض في جميع المجالات في الجانب المتعلق بالأوراد والأذكار والصلوات.

لقد اعتمدنا أساسا في هذه الدراسة على معرفتنا الشخصية للأماكن الخاصة بالزوايا باعتبارنا من منطقة معسكر وهذا ساعدنا كثيرا في المعاينة الميدانية للأماكن المدروسة التي تقع فيها هذه الزوايا للاطلاع على خصائصها الطبيعية من تضاريس وغطاء نباتي وهي معلومات مهمة تساعد الباحث على تكوين فكرة عن المكان وتكون له سندا في محاولة تفسير معنى أسماء هذه الأماكن وأسباب تواجد هذه الزوايا بهذه الأسماء فيها، وهذه هي الخلفية التي ترتكز عليها الدراسة عموما وتتبني عليه الخلفيات المعرفية الحديثة، وما أنتجته البحوث الحديثة في هذا المجال، وخاصة بعد تتداخل بعض الدراسات والمشاريع العلمية مع بعضها البعض، وامتدت هذه الدراسات بدورها إلى تقريب الكثير من الأبعاد المعرفية المتخصصة مع بعضها البعض.

خامسا: الطوبونيمية وعلاقتها بالرواية الشفوية.

المرجع الأصلي والأساسي يترسخ في الرواية الشفوية باعتبارها مصدرا أساسيا وخزانا تراثيا وثقافيا وتاريخيا مهما. ففي انعدام المراجع أو قلتها وعدم توفرها، يتجه المؤرخون إلى الرواية الشفوية ويعتمدونها، لكونها تحتفظ بالكثير من المعلومات المهمة التي لم تدون ولا تزال بعيدة عن ترسيخها كتابة، ووجودها فقط لصيقة بذاكرة بعض الأشخاص لهذا فالباحث الطوبونيمي يلجأ إلى الرواية الشفوية والإسراع في تدوينها خوفا من ضياعها.

أما المصادر الأخرى مثل الخرائط والعقود والوثائق فلم نتمكن من استعمالها أو الاستئناس بها نظرا لعدة أسباب كصعوبة التوصل إليها وطول المسطرة الإدارية.

أكثر الدلالات على أن اسم الزاوية مشتق ليدل على العبور والاجتياز، والعلامة المورفولوجية الدالة على كونه اسما للمكان هي حسن صياغة هذه الدلالة، وتقول المصادر الاصطلاحية أنها من الانزواء والانطواء للدلالة على العبادة والخلوة غالبا.

كما تجدر الإشارة إلى وجود مدخل معجمي مشابه ويراد به القطعة الأرضية التي لم يتم حرثها ولا زراعتها والمقصود الحقل الذي لم يستغل أو غاب عنه الاستغلال. ويمكن أن نقول بأن هذا المدخل المعجمي ينتمي إلى المشترك اللغوي بين التحققات المختلفة للغة المتوارثة خاصة في لهجات المغرب الأوسط وبعض المناطق القريبة منها.

فالأسماء الصرفية والمعجمية تخضع للنظام الاسمي الغالب في اللغة المستعملة، أو اللغة الكثيرة الانتشار، وهذا هو الذي يطرح المسألة على مستوى البناء أو المستوى المورفولوجي حيث الاختلاف الكبير على مستوى توزيع الصوامت بين بنية المفرد وبنية الجمع في تسمية الأسماء ونسبتها.

كما يطلق هذا الاسم جغرافيا على الممر شديد الارتفاع فهو بذلك على الشكل الجغرافي الذي يتميز بالارتفاع، ويشير محمد شفيق في معجمه إلى ذلك من حيث البعد الدلالي.

ونشير هنا إلى القيمة الدلالية التي يحملها هذا الطوبونيم باعتبار أنه يحيلنا مباشرة على أن المعاني المرتبطة بالمكان والمنطقة على حد سواء والكل مأخوذ من مصادره العامة والخاصة، والمتناقل شفويا عبر الرحلات والهجرة من مكان إلى مكان، وهذا ما يسهل عملية تناقلا لأسماء والصفات والأماكن، والأكثر من هذا يرد حسبما تخبرنا به الرواية الشفوية.

فمن الناحية الصرفية والتركيبية، تتكون أسماء الأماكن المدروسة من مختلف التركيبات وأهمها إما أسماء مفردة، أو أسماء مركبة، وصيغ التركيب هنا مختلفة. إما تركيب وصفي ويتم بزيادة وصف لتوضيح الدلالة سواء غلبته صيغة التذكير أو التأنيث، كما يصاغ لزيادة الصفة المشبهة على الاسم لتدقيق الوصف والمعنى، وكذا التركيب الإضافي ويتم إطلاقه بربط اسمين عن طريق الإضافة يجعل الاسمين في حكم الاسم الواحد.

لقد مكنتنا هذه الدراسة البسيطة لنماذج أسماء الأماكن المقدمة في هذا البحث من الوصول إلى مجموعة من الاستنتاجات التي نعتبرها ضرورية من

أجل الإحاطة ببعض الجوانب التي يعتمدها الوعي أو اللاوعي الجماعي من أجل إطلاق الاسم على المكان باعتبار هذه العملية خاضعة لنسق فكري معين من خلاله يتمكن الباحث من العبور نحو فهم رؤية المجموعة البشـــرية المعنية للعالم المحيط بها، وكذلك إلى قيمة الأرض والإنســـان والحيوان والنبات، كما تحيل إلى قوة ورمزية الحدث التاريخي، وقوة الرمزية الجماعية أو انطولوجيا التي تجمع الفئة البشرية داخل نسيجها الاجتماعي. من هذا المنطلق نستطيع أن نقول بأن الذاكرة الجماعية المشتركة للمنطقة الجغرافية حتى تظل متماسكة ضمن مسمياتها التي تطلق عليها، وتحيلها إلى حقولها المعرفية.

كما نستخلص مما سبق التنوع الكبير للمصادر التي ينهل منها الإنسان الجزائري بمنطقته، والصور الدلالية التي يوظفها لتحمل في الأخير مجموعة من الحمولات الدلالية التي قد تبقى وفية لمعناها الأصـــلي فلا يكون اســـتعمالها استعمالا مجازيا أو استعاريا، وهذا شأن الأماكن التي تحمل أسماء لوضعيات جغرافية معينة ومعروفة. لكنها قد تنحرف عنه لتدل على وظائف اسمية ثانوية أو جديدة. وفي كثير من الأحيان تتعرض الدلالات الأصـــلية الأولى للنســـيان الجماعي وبذلك يستأثر المكان بالدلالة المستقلة الثانوية خاصة إذا تعلق الأمر بأسماء بعض الأماكن التي يتغير اسمها ليوضع بدلها اسما جديدا لكن يضل الاسم القديم لصيقا بها.

أما إذا تعلق الأمر بالزوايا فكان أول شـــيء بدأت به الدراســـات الاطلاع على المفهوم العام للزاوية لغة واصـــطلاحا وأصـــول تأســـيســـها ووظيفتها عبر التاريخ، والدور الريادي لها. ثم الوظيفة الدينية والتربوية والتعليمية، بالإضافة إلى

الأسس التي قامت عليها، ثم بدأت الدراسات تتحول إلى الطرق التي انتسبت إليها هذه الزوايا إلى مجال البحث عن تسمياتها طوبونيميا.

وقد تتدخل القداسة لتغمر كلا لمكان وتصفه بالحرم مما يجعل منها منطقة آمنة منزوعة السلاح، لمراقبة وتامين القوافل والسلع لتصبح بذلك الأسواق نفسها والمسالك المؤدية إليها حرما آمنا، مما يوفر فرص التبادل التجاري السلعي لسكان وقبائل المناطق المختلفة، وكما تعود على الزاوية بمداخيل معتبرة نقدية كانت أم سلعية، مما يقدمه التجار كهبات وصدقات للزاوية ولشيخها مقابل حمايتهم وإيوائهم وإطعامهم في كثير من الأحيان، وبالإضافة إلى وظيفة تامين التجارة والأسواق، كانت بعض الزوايا تخصص غرفا على شكل مستودعات يضع فيها المتسوقون سلعهم، أو يستعملها سكان المنطقة في تخزين منتوجاتهم، وأحيانا الزكاة من الحبوب كالقمح والشعير وغيرها من الحبوب الجافة، والتمور المختلفة التي يتم استهلاكها وتوزيعها على الفقراء والمساكين حسب عدد الأفراد في أوقات الحاجة، وهذ اما يحول الزاوية إلى مخزن جماعي آمن لاحتياطي القبيلة من الحبوب ولمحاصيل الزراعية المختلفة وضمان الأمن الغذائي أمام تزايد وانتشار ظاهرة السطو والنهب وللصوصية الناتجة عن غياب المركزية في السيطرة على المناطق الريفية والقروية[1].

سادسا: اللسانيات الحاسوبية والإحصاء الطوبونيمي.

[1]بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التيجانية نموذجا دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف، أ. د ميلود سفاري، جامعة سطيف 2014 / 2015 ص 145.

تتدرج اللسانيات الحاسوبية في دائرة اهتمام المتخصصين في نطاق علوم اللغة العربية بشكل خاص والباحثين في المواضيع قريبة الصلة بوجه عام، حيث يدخل مجال اللسانيات الحاسوبية ضمن نطاق تخصص علوم اللغة ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى مثل الشعر، والقواعد اللغوية، والأدب، والبلاغة، والآداب العربية، فهي الدراسة اللغوية والاجتماعية من منظور الأماكنية.

واللسانيات الحاسوبية تلعب دورا فاعلا مؤثرا في الخروج بنا من أزمتنا الثقافية، فعلى مستوى التنظير لا يخفى ذكر استخدام التكنولوجيا الآلية لما تقدمة في التعامل مع النصوص في النهوض بالأبحاث اللغوية بشتى فروعها، أما على المستوى التطبيقي فدور اللسانيات الحاسوبية فاعل وشامل، وهذا واضح وجلي في استخدام اللسانيات الحاسوبية لتعليم اللغة العربية[1]،وكذلك عمليات التحليل والإحصاء في نقد النصوص موضع الدراسة، فلقد تعددت الدراسات في حقل اللسانيات الحاسوبية منها: المعالجة الآلية لمنظومة الكتابة العربية[2]،وينضبط ذلك كله من خلال تتبع مقتضيات الدرس اللساني الاجتماعي[3].وتسعى هذه الدراسات المتنوعة إلى تبيان مفهوم اللسانيات الاجتماعية باعتبارها فرعا يتفرع عن اللسانيات العامة الحديثة، وربط ذلك

[1] بوكاري أحمد، الأعلام الجغرافية مصدرا من المصادر الحضارية، الاسم الجغرافي تراث وتواصل، الرياض المملكة العربية السعودية ط1، 2005، ص 55.

[2] نبيل علي اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، دار الكتب الأردن 1988، ص 53.

[3] اللسانيات الاجتماعية والطوبونيميا: العلاقة والتجاذبات المجلد 8 العدد 6، ص176.

بمباحث الأماكنية، باعتبار الأماكنية جزءا لا يتجزأ من الدراسة اللسانية الاجتماعية التي تحاول دراسة أسماء الأماكن كالكشف في جانب البحث عن علاقة اللغة بالمجتمع، ثم التفاعل اللغوي اللهجي اللساني الاجتماعي بإعطاء صورة دقيقة كربط الصلة بينها وبين الأماكنية، فضلا عن رصد العلاقة باللسانيات الاجتماعية والأماكنية، ثم ضبط التجاذبات بينهما.

وللتنبيه فإن الإجراء في ضبط تلك القواعد التي تتناسب مع مقتضيات هذه الدراسات في مجالها هذا والتي تبدو كل مناحيها تدعو للبحث على مستوى أكبر حين يتعلق الأمر بقاعدة بيانات، وهي تخزن بشكل منظم على جهاز الحاسوب حيث يقوم برنامج الحاسوب الذي يسمى غالبا محرك قاعدة بياناتبتسهيل التعامل معها والبحث ضمن هذه البيانات، وتمكين المستخدم من الإضافة والتعديل عليها .ثم بعدها يتم استرجاع البيانات باستخدام أوامر من لغة الاستعلام التي يمكن اعتبارها معلومات مساعدة على تجاوز الصعوبات واتخاذ القرار المناسب في عملية البحث عن المعطيات.

أما نظام إدارة قواعد البيانات فهو البرنامج الذي يتم من خلاله استرجاع البيانات، أو الإضافة أو التعديل عليها، أو حذفها، حيث يقوم البرنامج بالربط بين المستخدم وبين محرك قاعدة البيانات، لأداء تلك المهمة.

سابعا: قواعد بيانات في نظام المعلومات الجغرافية.

إن الهدف الرئيسي والأساسي لقواعد البيانات هو التركيز على طريقة تنظيم البيانات وليس على التطبيقات الخاصة. أي أن الهدف الرئيسي لمصمم قاعدة البيانات هو تصميم البيانات بحيث تكون خالية من التكرار ويمكن

اســترجاعها وتعديلها والإضــافة عليها دون المشــاكل التي يمكن أن تحدث مع وجود التكرار فيها. ولقواعد البيانات تركيبات تكون حسب نوع العلاقة الرياضية بين التي تجمع تلك البيانات في حدود تصـنيفها وترتيبها. وهذا هو الذي تعتمده قواعد البيانات المعلوماتية كالتركيب العلائقي الذي يعتمد علاقة محددة بين عناصـــر البيانات، والتركيب الهيكلي الذي يعتمد علاقة الهيكل التنظيمي بين عناصر البيانات، أما التركيب الهرمي وهو الذي يعتمد علاقة الهرم بين عناصر البيانات.

وهي عادة ما تعرف بأنها مجموعة من البيانات المرتبة وفق نظام أو بنية محددة، وإن لترتيب البيانات وفق بنية معينة فوائد عددية، ومنها ضبط الوصول إلى البيانات بطرق معيارية بغية اســـتخدامها أو تعديلها. أو تخزين البيانات بشكل مستقل عن تطبيق محدد أو غرض معين، بحيث يمكن لاحقا استخدامها لأغراض وتطبيقات أخرى أو الإقلال من التكرار في تخزين البيانات أو ما يدعى بالبيانات الفائضة (Data redundancy)[1].

وإلى نفس هذا المحتوى الإجرائي يحيل رائد بشير الفارس إلى ضرورة ربط هذه التطبيقات بالفكرة المبدئية لنظام المعلومات الجغرافية مع الاعتماد على البرمجيات من وجهة نظر تحليل مكاني، ومن وجهة نظر إنتاج الخرائط، وخاصة فيما يتعلق بإنتاج الخرائط والبيانات الطبوغرافية، ونظام رســـم الخرائط

[1] فؤاد محمد بن غضـــبان، نظم المعلومات الجغرافية دار النهضـــة العربية للطباعة والنشـــر بيروت 1972، ص94.

(الكارتوغرافيا) الذي يربط بين الوثيقة العلمية والعمل الفني[1]، لهذا تظل المعلومات المكانية تخضع إلى أساليب فنية خاصة من حيث السمك والحجم والشكل واللون وطريقة الرسم وقواعد التوقيع المكاني بما يتفق مع محتويات الخريطة وهذا ما يجب توظيفه والاهتمام به في مجال تنفيذ مشروع في نظم المعلومات الجغرافية الذي نربطه في مجال تصميم قاعدة بيانات جغرافية التي تعتبر مساقط الخرائط، والاعتماد على هذه المساقط أي هذا الشكل المستوي لسطح الأرض يؤدي بالضرورة للحصول على خارطة مستوية لإقليم الدراسة التي تتيح إمكانية توقيع البيانات عليها[2].

وهناك أمر ثان يحيل إليه بعض الباحثين أن نظم المعلومات الجغرافية لا يعنى برسم الخرائط فحسب، بل هو نظام حاسبي لجمع وإدارة ومعالجة وتحليل البيانات ذات الطبيعة المكانية التي تصف المعالم الجغرافية على سطح الأرض وهو يمكن ربط المواقع الأثرية والشواهد والمعالم والزوايا والأضرحة وحتى الآثار القديمة كيف تجسدت في أمكنتها وربط كل ذلك بالمكان، وهذا ما تدعو إليه الدراسات الطوبونيمية الحديثة التي تحاول الإجابة عن التساؤلات الكثير في مجال البحث التاريخي الجغرافي.

---

[1] رائد بشير الفارس، التمثيل الخرائطي الفعال لمتغير الحبة Grain في نظم المعلومات الجغرافية GIS، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط2 2015 ص 27.

[2] محمد عبد الجواد محمد علي، نظم المعلومات الجغرافية (الجغرافية وعصر المعلومات) ط1، 2001 دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ص47.

أما الاســـتكمال المكاني يمكن من خلاله اســـتعمال نظام المعلومات الجغرافي لدراسة خصائص المكان ومعرفة المسافات والشكل الهندسي النموذجي وطريقة المعمار[1].

أما التداخل الحاصل بين بيانات المعلومات الجغرافية والجغرافية السياحية بالخصوص، التي لها صلة بينها وبين الدراسات المتعلقة بالأماكنية للزوايا من الوجهة السياحية، فبقد ترتب عن هذا الأمر جملة من التساؤلات المنطقية أي ما هو الذي يميز الجغرافيا الســـياحية في ارتباطها بالطوبونمية للزوايا مع بقية الأشكال الأخرى، فلذلك يرتبط فهمها وتحديدها للمناطق المختلفة والأسباب التي تدفع الســـائح إلى الذهاب لزيارة منطقة دون أخرى، وهذا ما يتيح لأصـــحاب التخصـــص في زيارة معلم أثري ديني دون آخر، وهذا كله يجمع بين العلم والجمال والبراعة الفنية[2]. وتتشـــكل الرؤية بصـــورة أدق عندما يتم الربط بين المكان وحقيقته التاريخية وتسميته لهذا يصرّ بعض الباحثين على هذا الامتداد ففي تعريف المعلومات الجغرافية (GIS): Geographic Information System لم يعد هناك مفهوم ثابت لنظم المعلومات الجغرافية، وذلك لتعدد المجالات التطبيقية التي تعتمد عليها، ولاختلاف وجهات النظر حول تحديد وتصنيف الأهداف التطبيقية لتلك النظم. وقبل استعراض بعض التعريفات يجب علينا أن نعرف الفارق بين نظم المعلومات (information system) ونظم

[1] فؤاد محمد بن غضبان، نظم المعلومات الجغرافية، ص99.

[2] أسامة صبحي القاعوري، الجغرافيا السياحة ما بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر الأردن، 2011. ص 121.

المعلومات الجغرافية (geography information system) حيث يقصـــد ينظم المعلومـات: تلـك القوة والقـادرة على جمع وإدارة المعلومـات التي يحتـاجها حل إحدى المشكلات لاتخاذ القرار وعليه فقد أصبحت تمثل الأساس لكثير من الأعمال من اجل انجاز أفضـل وعمل أسـرع وأدق بمعنى أخر فانه يمكن القول إن المقصود بنظم المعلومات تلك النظم التي يمكن تطبيقها في مجال الأعمال.

وعليه فقد ظهرت أنواع مختلفة من هذه النظم ما يسمى بنظم المعلومات الإداريـة (MIS)(Management information) والتي تســـاعد في حل المشـــكلات الإداريـة من خلال كم البيانـات و المعلومـات المتوافرة على أجهزة الحاسـب ،ونظم المعلومات المكتبية (OIS)(Office information system) وعلى كل فإن الفارق بين النظم الســـابقة وما يعرف بنظم المعلومات الجغرافية (GIS)هو أن جميع البيانات والمعلومات المســـتخدمة في النظم الســـابقة من الصـــعب اعتبارها معلومـات جغرافيـة حيث أنها غير مرتبطـة مكانيا، أي أنها ليست مربوطة بموضـع أو موقع محدد على سطح الأرض بحيث تضـفي عليها الصـــيغة الجغرافيـة، أمـا (GIS) فهي تحتوي على معلومـات جغرافيـة مرتبطـة مكانيا أي إن المعلومة ترتبط بمكان أو موقع أو إحداثيات.

وعليه فإن كلمة (GIS) تتكون من الجغرافيا وهي تمثل العنصر المكاني في هذه النظم وتعني بالمعلومات التي يمكن خزنها كقاعدة بيانات ففمهما كانت طبيعـة المعلومـات من حيـث الشـــكـل والكم أو النوع وتعني كلمـة معلومـات (information) البيانـات التي تتكون منهـا هذه النظم وطرق إدارتهـا وتنظيمهـا واستخدامها. أما كلمة نظام (System)، فهي تعني وسط ليسمح بإدارة البيانات

والمعلومات وبصـــورة آلية وهو عبارة عن تكنولوجيا الحاســـوب والبرمجيات المرتبطة به[1]، وبصفة عامة هناك عدد من التعريفات الخاصة بنظم المعلومات الجغرافية يمكن من خلالها فهم معنى النظم بشـــكل أكثر دقة وهي ثلاثة أراء حول GISمن وجهة نظر تحليل مكاني، ومن وجهة نظر أدارة قاعدة المعلومات، وكذلك من وجهة نظر إنتاج الخرائط.

والنتيجة أنه لكي تؤدي نظم المعلومات الجغرافية وظائفها لابد أن تتوفر لها برامج تشغيلية وتطبيقية وتحويلية وغيرها، بالإضافة إلى مكونات الحاسب الآلي (الجوامد)، وقواعد للمعلومات البيانية والجغرافية لاستخراج ورسم وتحليل معلومات جغرافية ذات مرجع أرضـــي من قبل المتخصـــصـــين لتحقيق أهداف ومتطلبات معروفة ومجددة من قبل المستخدمين.

ومن هذا المنطلق نرى أن الاحتفاظ ببعض المعلومات وتجســـيدها على المواقع المكانية والتدليل عليها وفق الرسم المكاني هو عامل مساعد في تحديد المساقط الجغرافية وربطها بالتسميات، وخاصة حين يتعلق الأمر بتحديد طبيعة المكان وتحليل التضاريس والوسط الطبيعي للمكان، فالتضاريس تعتبر قاعدة للبحث لأن عليها يرتكز النشـــاط البشـــري، وتتبلور فكرة التناســـب بين المكان والحيز المجسد له.

1ـــ معالجة المعلومات المواقعية وتصحيحها.

[1] نجيب عبد الرحمن الزيدي، نظم المعلومات الجغرافية GIS، مؤسسة الوراق للنشر الأردن، 2011، ص88.

تقوم هذه الدراسة على أساس تعيين الوظائف الكارتوغرافية(الخرائطية) وتعديل المقياس وكذلك تحويل البيانات ذات الطبيعة الاتجاهية (الخطية) vectorإلى بيانات شبكية (خلوية)raster وبالعكس.

ومن هنا يتعين تعريف بعض عناصر الخريطة وعلى جهة الخصوص ضبطها بخطوط الطول، وخطوط العرض والإحداثيات التي تعتبر من العناصر الهامة في الخريطة، لهذا يمكن للخرائط الطبوغرافية أن تحتوي على معلومات أخرى لا تقل أهمية مثل خطوط العرض، التي تسمح بتحديد موقع أي نقطة على الخريطة، وهذا النوع من التحديد يسمى بالإحداثيات الجغرافية (Coordonnéesgeographiques) لهذه النقطة. وتعرف الإحداثيات الجغرافية بأنها قيم الزوايا الخاصة بموقع نقطة ما على سطح الأرض بالنسبة لخط الطول الأصلي، ولخط الاستواء. إن خط الطول والمستوى الذي يمر على هذه النقطة وفي اتجاه عمودي على محور القطبين، أما خط العرض للنقطة فهو خط التقاطع بين سطح الأرض والمستوى الذي يمر على هذه النقطة وفي خط التقاطع بين سطح الأرض والمستوى الذي يمر على هذه النقطة وفي اتجاه عمودي على محور القطبين أو موازيا لخط الاستواء[1]، تستعمل خطوط الطول وخطوط العرض عادة كحدود للخرائط الطبوغرافية وتوضع الجهة العلوية للخريطة نحو الشمال حيث أن خطوط الطول تكون في الاتجاه شمال–جنوب بينما خطوط العرض تكون في الاتجاه شرق–غرب.

[1] جورج تريكار، مدخل إلى الأعمال التطبيقية في الجغرافيا، ترجمة حليمي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية 1982 ص 53.

2ـ نظم المعلومات البينية للأماكنية وتسمياتها.

يتشـــعب مفهوم نظم المعلومات الجغرافية في شـــقين: أحدهما البرامج وكيفية حصـــر المعلومات وتخزينها ومعالجتها للاســـتفادة منها لتحقيق هدف معين، والآخر قاعدة المعلومات التي تعتمد على الإحداثيات والتي تســـهل التعامل معه، أو هي نمط تطبيقي لتكنولوجيا الحاسب الآلي بشقيه الأساسيين البرامج ومكونات الحاسـب الآلي، والتي أصـبحت تسـمح لنا بحصـر وتخزين ومعالجة بيانات متعددة المصـــادر كمية كانت أو نوعية دون قيود، مع إمكانية الحصـول على نتائج نهائية على هيئة خرائط، رسـم بياني، مجسـمات، صـور، جداول أو تقارير علمية[1]. "وقد تعتبر حسب الدراسة نفسها، هي مجمع متناسق يضم مكونات الحاسب الآلي والبرامج وقواعد البيانات بالإضافة إلى الأفراد وفي مجموعة يقوم بحصـــر دقيق للمعلومات المكانية وتخزينها وتحديثها ومعالجتها وتحليلها وعرضها[2].

ويمكن أن تكمن أســـباب التباين في التعاريف المذكورة آنفا إلى وجود التباين في خلفية المنظرين والواضـعين لهذه التعريفات، فلكل وجهته، أو بالرجوع إلى النقلة النوعية للمعلومات وتطور الحواســب والتي صـــاحبها تغير في تقنية المعلومات. وهنا تظهر بصـــفة دقيقة علاقة نظم المعلومات الجغرافية بالعلوم المكانية.

[1] فؤاد محمد بن غضبان، نظم المعلومات الجغرافية ص 15.

[2] فؤاد محمد بن غضبان، نظم المعلومات الجغرافية ص 20.

في الوقت الذي تعتبر فيه نظم المعلومات الجغرافية علم شريك لكل فروع العلوم المكانية، يمكن أن يتخصص برمجياته وتقنياته أشخاص يركزون على فهم وتطوير تلك البرمجيات والتقنيات، كما يمكن أن يتخصص آخرون بتطبيقات هذه النظم في العلوم المكانية المختلفة، وهم بذلك ينتمون إلى تلك العلوم المكانية، مع الاستيعاب المناسب لإمكانات برمجيات نظم المعلومات الجغرافية في خدمة تلك العلوم. وفي هذه الإطار، لابد من تحديد تلك العلاقات بين نظم المعلومات الجغرافية وعلاقتها بالعلوم المكانية الأخرى. فعلاقاتها بالجغرافية تتضح من خلال ارتباط كل المعلومات التي يتم التعامل معها بالمكان، والثاني: من خلال الاتساع والتنوع الكبير للوسط الجغرافي حيث أن مجال عمل الجغرافية يضم كل ما يقع على سطح الأرض وما في الغلاف الجوي من مكونات طبيعية وبشرية واقتصادية ترتبط بالمكان، مع الأخذ في الاعتبار اشتراك علوم أخرى كثيرة بدراسة مكونات الوسط الجغرافي، ويعد جزءا من مادتها العلمية. وما يميز تناول الجغرافية لهذه المكونات من العلوم الأخرى هو الربط بين هذه المكونات وبين المكان الذي توجد بيه، فعلم المكان يوحد بين الظاهرات المختلفة التي يجمعها المكان، ويراها كلا متكاملا.

وعليه فإن علاقة الجغرافية بنظم المعلومات الجغرافية لا تقتصر على المكان، بل على المادة المدروسة، والربط بين العناصر المختلفة التي يجمعها هذا المكان بما فيها استخدام أنظمة المعلومات الجغرافية المسجلة وفق ما تقتضيه تلك العلاقة.

الفصل الأول:

دراسة في المعاجم والمعجمية.

المبحث الأول: دراسة عامة للمعاجم العربية واصطلاحاتها واللغوية.

المبحث الثاني: المعجم العربي النشأة والتطور.

المبحث الثالث: الصناعة اللغوية والاصطلاحية للمعجم.

المبحث الرابع: المعجم الطوبونيمي ودلالة أسماء الأمكنة.

تمهيد

انبثقت فكرة هذه الدراســـة من التأملات القائمة عند الباحثين في مجال الاطلاع على المعاجم العربية بمختلف تفرعاتها، وخاصـــة المعاجم المصـــطلحية على كثرتها وتنوعها، والهدف من ذلك تمهيدا لدراســـة معجم المصـطلحات الطوبونيمية وأبعادها الدلالية داخل السـياقات اللغوية، مع التأكيد على دور المعاجم العربية في تحديد المصـــطلح وإثباته، لذلك اعتمدت اللغة العربية في بداية التشكل الأوّلي لمصطلحاتها على عنصرين أساسيين هما اللفظ والمعنى، وهذا كأي لغة من اللغات في الحفاظ على موروثها الثقافي والفكري، وحتى تكون بـذلـك قـادرة على أن تملـك مـادة معرفيـة غزيرة في بنـاء دلالتهـا وتعميق أســاليب الفهم في مدوناتها والاســتدلال على تراكيبها، وحتى تضــع لنفســها في خضــم التخاطبات اللغوية المتنوعة مكانة معجمية لتعبر من خلالها على سعة موروثها وقوة الدلالة التي تملكها.

ولترســيخ هذا الجهد ســعت المعاجم العربية قديمها وحديثها على توطين النظرية اللغوية وتوســيع دلالتها من خلال ترســيخ فكرة عن طريق البحث عن مفرداتها وعباراتها وما تشكّله تلك المفردات من معانٍ عبر التطور اللغوي. ينقلنا تراثنا المعجمي إلى الصـورة المثالية كالتي تحدثها عنها الجاحظ بقوله كل شـيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصـرف همّه إلى الكلام بطريقة مسـترسـلة، فتأتيه المعاني إرســالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا[1]. وهذا الكلام الذي يســوقه

[1] الجاحظ (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ج3 ص 13.

الجاحظ في مدلوله اللغوي إنما يؤكد طبيعة العربي في توليد اللغة والعمل على اتســـاعها. وللتدليل على ذلك يرى الجاحظ أن الكلام الجيد عند العرب أقدر وأقهر، وأنهم يحفظوا ما علق بقلوبهم والتحكم بصـــدورهم واتصـــل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد[1].

ثم إن هذه اللغة العربية تسعى لتضع الأسس لبناء ماضيها وحاضرها المعجمي عبر مراحل تاريخها وذلك من أجل التجدد ومواكبة التطور الحاصـــل في مجال المعرفة، ولايزال الاهتمام بمعانيها مستمرا وقائما إلى اليوم في ضوء المناهج اللغوية المعاصـــرة. فالمباني والمعاني التي قامت عليها هذه اللغة المعاصرة لم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه إلا بسبب ما سلكته من مسالك في التدليل على معانيها القديمة وتبسيطها والاستدلال عليها بدلالات معاصرة حتى تواكب التطور الحاصل في الدراسات المستقبلية والتي تكون غالبا مصحوبة بالرموز اللغوية المبسطة، وتدعيمها بالصور والرسوم والأشكال العصرية، وذلك لتقريب اللغة من مستعمليها وبخاصة في عصر يدعو دائما إلى التأكيد بعصرية اللغة العربية دون إهمال المصـــادر التي حافظت على هذه اللغة عبر مراحل تاريخها.

ثم إن النشاط اللغوي يرتبط أساسا مع المحيط الذي نشأت فيه هذه اللغة وترعرعت في كنفه، ثم اســـتمرت عبر هذه المتلازمات لينشـــأ على إثرها واقعا اجتماعيا متماسكا.

[1] المصدر نفسه ج3 ص 13.

المبحث الأول: دراسة عامة للمعاجم العربية واصطلاحاتها اللغوية.

لقد مرّ المصطلح في التراث العربي بمراحل، عرف من خلالها تطورا في معانيه ودلالاته، ومن هذه المراحل، مرحلة التأسيس ومرحلة التحديث، هاتين المرحلتين أوصلت المعاجم إلى أبعد الغايات في النشوء، فاتصف المعجم العربي الحديث والتراثي بالخصائص التي تجعل منه حيّا قادرا على الإحاطة بالمادة العلمية من شتى جوانبها[1].

وسبيل تحقيق هذه الغاية الوجودية للمعجم العربية كما في العديد من الدراسات حين يرى أن من أجل تحقيق هذه الغاية للمعجم العربي العام والمتخصص يتأتى بدراسته دراسات منهجية وأخرى وصفية ونقدية، ثم توسعت هذه الدراسات وتم تطويرها بحثيا بهدف رصد واقع المعجم ومصطلحاته، وذلك بالوقوف على ترتيب مواده وأساليب معالجتها، ومعرفة المجالات التي يغطيها ودرجة تنوعها والحدود الزمنية لهذه التغطية.

إن هذه الطرق تحدثت عنها العديد من المراجع لأهميتها في التعامل مع المعاجم اللغوية، خاصة حين يتعلق الأمر بالحرص على فهم القصد من المعنى في شرحه وتفسيره[2].

إن المعاجم هي المراجع التي لا غنى عنها مهما كان نوعها بل هي المراجع التي يستوي فيها الباحث الناشئ والباحث الدارس، وهو الذي يجمع بين

---

[1] أيمن عبد الرزاق الشوا، معجم أسماء الأفعال في اللغة العربية، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ط1، 2006. ص 123.

[2] حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم انظر حلمي خليل، دراسات في المعجم واللغة، دار النهضة العربية بيروت، ط1 1998، ص 246.

دفتيه مفردات اللغة ومصـــطلحاتها المتنوعة، والاهتمام بـه يرجع إلى اهتمام العرب بلغتهم الذي بدأ منذ العصـر الجاهلي لإحسـاسـهم بجمالها وعلوها، فقد كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية ويحثونهم على مصاحبة الشعراء والتعلم منهم، وازدادت العناية بالغة العربية مع ظهور المدارس اللغوية، وكانت بذلك المعاجم هي الوعاء الكبير الذي يحمي مفردات اللغة ويصـــونها من الدخيل .وكان للدراسات اللغوية الأولى التي ارتبطت بشكل أساسي بالدراسات الدينية الفضل في نشأة التفكير في صناعة المعاجم عند العرب[1].

ويتحدث السـمرائي في كتابه معجميات عن المعجم العربي الأسـاسـي للناطقين بالعربية ومتعلميها أنه ألفه وأعده جماعة من كبار اللغويين العرب وبتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس عام 1988، كما أورد أنه جاء في الصفحة الرابعة أسماء المشاركين في وضع المعجم وإعداده، وجملة هؤلاء تسعة عشر بين مؤلف معدّ ومنسق، ومشرف فني، ومقدم، ولقد كانت المقدمة للأستاذ محي الدين صابر المدير السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[2].

ويضيف في نفس السياق أن صاحب المقدمة لهذا المعجم بين من خلالها أهمية المعجم وخصائصه وفضائله وأطرى صنعة الذين قاموا به وشاركوا فيه، واعتبر السمرائي أن هذا المعجم يندرج في المعجمات الحديثة، لأن المطلع عليه

[1] عبد الحفيظ السـطلي، المعجمات العربية نشـأتها وأطوار التأليف فيها، مجلة التراث العربي دمشـق العدد 77 السنة 2010 ص 15.

[2] إبراهيم السـامرائي، معجميات، المؤسـسـة الجامعية للدراسـات والنشـر والتوزيع بيروت، الطبعة 1، 1991، ص 7.

يقف فيه على الكلمة الجديدة والمصطلح الجديد في العلوم الإنسانية وشيء آخر في العلوم التطبيقية، لأن لأسماء المستحدثات والأجهزة الجديدة، وأسماء الأطعمة والأشربة وأسماء المعادن والمواد المنزلية حضورا فيه. وأنت مثلا البليسلين والأنسولين وغير ذلك مداخل في هذا المعجم[1].

والمعجم يكثر في شواهده من لغة التنزيل وهذا حسن، ويكاد يخلو في شواهده من لغة الحديث الشريف، في حين يأتي بالكثير ما هو شائع في الصحف والمجلات الحديثة، وهو مظنة للحواضر والبلدان والأقطار، وهو يشتمل على ذكر الأمم والطوائف والملل والنحل والجمعيات الدينية والسياسية والاجتماعية، وهو مظنة تجد فيها أسماء المصادر والكتب الشهيرة، إلى جانب أعلام المؤلفين والمصنفين والشعراء والكتاب وسائر الأدباء وغيرهم من القادة والزعماء[2].

لكن الملاحظ أن هذه المعاجم الاصطلاحية في طبيعتها لم يكتمل تصورها النهائي وذلك بسبب أن المواد الواردة فيه غالبا ليست مستوفاة، وذلك أن أصحاب المعاجم الاصطلاحية أهل اختيار وانتقاء للمهم والأهم، وهذا شأن العديد من المعاجم الحديثة.

أولا: أنواع المعاجم، الشروط والوظيفة.

لقد صنف المعجميون العرب المعجم العربي إلى تصنيفات متعددة، إذ "عادة ما تطلق كلمة "معجم" على المعاجم الشاملة أحادية اللغة، أي التي

[1] إبراهيم السامرائي، معجميات، ص 7.

[2] إبراهيم السامرائي، معجميات، ص 8.

تتطابق فيها لغة المدخل مع لغة الشـــرح، ولكن الكلمة قد تطلق كذلك على ما يسمى بالمعاجم الخاصة ذات المجال المحدود فيقال معجم مصطلحات، معجم مترادفات، معجم ألفاظ القرآن الكريم إلخ... كما تطلق على المعاجم ثنائية (أو متعددة) اللغة، وهي المعاجم التي تختلف فيها لغة الشـــرح عن لغة المدخل، وتهتم بتقديم المعلومات عن اللغة المشروحة أكثر ما تهتم باللغة الشارحة[1].

ومن شروط المعجم الشمول والترتيب، وهذان الشرطان لابد من توافرهما في أي معجم، أما الشـمول فتتفاوت المعاجم في تحقيقه، وأما الترتيب فلابد من توفيره والالتزام به، وإلا أصـــبح المعجم فاقدا لقيمته، يقول الدكتور أحمد مختار عمر، وقد كان تعدد طرق الترتيب المعجمي عند العرب، وتفاوت هذه الطرق صـعوبة وسـهولة سـببًا في موت معاجم وحياة أخرى، وخمول بعضـها وشـيوع أخرى[2].

ومن وظيفة المعجم، شـــرح الكلمة وبيان معانيها، وذلك بالوقوف على معانيها عبر العصـور أو في العصـر الحديث فقط، وينبغي أن تكون الكلمات معروضـة في سـياقات مختلفة وجمل متعددة ليتضـح المعنى أمام القارئ أكثر. وأيضـــا تحديد الوظيفة الصـــرفية للكلمة، أي إذا كانت اســـم أو فعل (ماضٍ، مضـــارع، أمر، وما إذا كان مجردا أو مزيدا أم لازمٍ أم متعدٍ) أو حرف. ومن وظيفته أيضـا بيان كيفية كتابة الكلمة، وذلك في الكلمات التي يكون هجاؤها لا

[1]أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص163، بتصرف.

[2]انظر زين كامل الخويسكي، المعاجم العربية قديما، وحديثا، دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، 2007م، ص33.

يمثل أصـــواتها مثل: الرحمن، أولئك، كيفية كتابة الهمزة، كما تتجلى وظيفته أيضـا بيان كيفية النطق للكلمة، وذلك بضـبطها بالشـكل وهذا ما تبعه بعض اللغويين العرب في معـاجمهم من خلال قولهم إن الكلمـة على وزن كـذا، وأن نطقها يشبه نطق كذا، أو بفتح أولها وضم ثانيها وهكذا[1].

ثانيا: المعجم بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية.

معنى كلمة معجم تدل على الإبهام والخفاء واللبس كما ورد في المعاجم نفســـها، ففي لســـان العرب عجم العجْم والعجم خلاف العرْب والعَرب، يعتقب هذان المثلان كثيرا، ويقال عجميّ وجمعه عجَم، وعربي وجمعه عرَب... والعجْم جمع الأعجم الذي لا يفصـــح، ورجل أعجمي إذا كان في لســـانه عجمة وإن أفصح بالعجميّة[2].

ومن هذا الباب فإن الحديث عن المعجم يستند أساسا إلى هذا الأصل المراد في العُجمة، أي خلاف الفصـــاحة العربية، ومنه إلى إزالتها عن طريق الإفصـاح والوضـوح، ولعل المعجم هو الوسـيلة لإزالة هذا الغموض، وقبل أن يوضـح ابن منظور ذلك يذهب في معجمه إلى أن حروف المعجم سـميت بذلك لأن بعضـها يُعجم أي توضـع له النقاط فيقول: قيل إنما سميت بذلك لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصـواته، فأعْجَمْت بعضـها وتركْت بعضـها، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام هو غير ذلك الذي من عادته أن يعجم، فقد ارتفع بما فعلوا

[1] انظر زين كامل الخويسكي، المصدر نفسه ص 34.

[2] انظر ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل)، لسان العرب، مادة (عجم) ج 4ص267، دار صادر بيروت، ج4، ط1، 1997، ص421.

الإشكال والاستبهام عنها جميعا، فلما استمر البيان في جميعها جاز تسميتها بحروف المعجم[1].

واستشهد ابن منظور بقوله تعالى: "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي" أأعجمي أم عربي" ولو جعلناه قرآنا عجميا[2]، وإلى نفس المفهوم أشار الفيومي في المصباح المنير حيث يقول، " العجمة في اللسان بضم العين لكنة وعدم فصاحة واستعجم الكلام مثل استبهم وأعجمت الحرف أزلت عجمته، وأعجمته خلاف أعربته"[3]، وفي هذا إشارة إلى الإطلاق الذي اتفق عليه أصحاب المعاجم فكلهم يذهبون هذا المذهب ويؤيدونه[4].

ثالثا: المعجم والمصطلح اللغوي.

لقد عرفت المعاجم العربية تنوعا شمل مختلف التخصصات، اللغوية والأدبية والفلسفية والعلمية، لكن الصناعة المعجمية القديمة شملت في البداية اللغوية وذلك لأسباب يذكرها الدارسون، فالمعاجم اللغوية هي تلك المعاجم التي ساهمت في تطوير المصطلح اللغوي سواء من ناحية ما تقضيه اللفظة في مدلولها العام وما جرت به ألسنة المتكلمين بها، أو من ناحية المعنى الذي يقتضيه ذلك اللفظ وما يحتويه من دلالات مختلفة في المعنى، أي ما يقتضيه معناها، لذا في الجهود المعجمية تظهر معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، وبهذا

---

[1] انظر ابن منظور، المصدر نفسه، ج4 ص 268.

[2] انظر المصدر نفسه، ج 4 ص 269.

[3] انظر الفيومي، المصباح المنير مادة (عجم)، أ اعتنى بها يوسف الشيخ محمد، لمكتبة العصرية بيروت، ط 1، 1996. ص 205.

[4] انظر المصدر نفسه، ص 205.

فكثير ما نكون بأحوج إلى كليهما لضرورة المفهومين الدلاليين اللفظي والمعجمي على حدّ سواء.

إن الخوض في غمار تجربة تفتح المسار نحو دراسة المصطلحات المعجمية يستدعي غالبا المقارنة ما بين الدراسات المعجمية القديمة في طرق تهذيبها وترتيبها وتصنيفها، وأيضا فيما جاءت به من معايير تجعلها تختلف عن بعضها البعض، ثم إن هذه المعاجم واجهت تحد اصطلاحي خاصة في مجال التطور القائم على مستوى المنهج.

فأول ما يسترعي المعجميين العلاقة التي تربط المعجم بحروفه، وهذا ما جعل السمة الغالبة في المعجم هو البحث عن دلالة الحروف، فإن أول ما يستوقف الباحث ذلك الاجتهاد اللغوي الذي ركز عليه علماء اللغة منذ القدم في تعليلاتهم القائمة على المنطق التفسيري لمقاصد اللغة المعجمية، لذلك فإن الحرف حدّ كل شيء وناحيته[1].

ومن هذا ما أورده ابن جني من أن الحروف في الحركة والسكون على ضربين ساكن ومتحرك، فالساكن ما أمكن تحميله الحركات الثلاث، والمتحرك هو الذي لا يمكن تحميله أكثر من حركتين، والحرف كالمحل للحركة، وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده[2]. وكلام ابن جني هذا يسوقنا إلى أهمية حروف المعجم في التوصل إلى الدلالة.

---

[1] ابن جني (عثمان أبو الفتح) سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، شحاتة عامر، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2 2007، ج1 ص 28.

[2] انظر ابن جني، المصدر نفسه، ج 1 ص 42 / 43.

المبحث الثاني: المعجم العربي النشأة والتطور.

إن المعاجم العربية عرفت منذ نشأتها وتطورها مسارا تاريخيا متميّزا سواء على الصعيد اللغوي أو الاصطلاحي، وظل الرجوع إليها منذ أمد بعيد ضرورة من ضرورات المعرفة، وسعى الكتاب المهتمون بتاريخ اللغة في وضع هذه المعاجم حفاظا على المصطلحات اللغوية من الضياع والاندثار طيلة هذه القرون من الزمن، وكان غرضهم في ذلك فتح الآفاق على مختلف الدلالات والتفسيرات اللغوية التي عرفت بها النصوص الأدبية شعرا ونثر.

ويمكن حصر هذه المعاجم العربية بدءا من القرن الثاني الهجري إلى غاية يومنا هذا، وأبرز معجم عربي تداولته الساحة اللغوية هو معجم العين الذي يعتبر أهم معجم لغوي في تاريخ اللغة العربية. وتليه بقية المعاجم العربية أكثرها يتأثر بمن سبقها مع بعض التحديثات في المنهج من معجم لآخر.

دارس اللغة بحاجة ماسة إلى استخدام المعاجم، ذلك لأن قدرته على استيعاب المفردات والمفاهيم محدودة بمجال ثقافته ومستوى تحصيله، فقد تصادف الكثير من الدارسين بعض النصوص تكون بعض كلماتها لم تدخل مجاله المعرفي، فمن هنا تكون الحاجة ماسة إلى المعجم ليستمد منه قدرته وطاقته المعرفية.

وتظهر أهمية تفسير المفردات وضرورة ايجاد المرادفات لها ما لقيه الكثير من الابهام في فهم بعض الكلمات كما هو الشأن بالنسبة لعمر بن الخطاب

حينما قرأ قوله تعالى: " وفاكهة وأبا" فلم يعرف معنى الأب[1]، لهذا سأل عمر بن الخطاب عن معناها الصحيح بين مستعمليها من الأعراب فوجد لها تفسيرا.

فالمتأمل في كتاب اللغة العربية الدلالات والصـــيغ في الجزء الخاص بالترادف، يجدها محاولة جادة في التنظير المعجمي، ففي مادة علق مثلا ترد كلمة:" علق كلف ولع تمسك اتصل ارتبط اتكل"[2]، وفي كلمة: عمق مثلا ترد كلمة:" تعمق استقصى توسع فحص محّص"[3].

أولا: المعجم بين المصطلح والدلالة.

المصـــطلح هو أحد الركائز التي يســـتند إليها المعجم ويتفق مع المدلول الذي وضـعت لأجله، فمنذ نشـأة المعاجم وهي تعتمد على المصـطلح بوصـفه مرتبط بـالـدلالـة وقـائم عليهـا، والـدليـل على ذلـك حين نطّلع على المؤلفـات الاصطلاحية نجدها تدقق في مسألة اللفظة ودلالتها والهيئة التي وضعت عليها وهذا ما يؤدي بأي باحث الرجوع إلى المعاجم والقواميس والموســـوعات والبحث عن العامة منها والمتخصصـة، والنظر إلى الطرق التي استعملتها والمنهج التي قامت عليه والأسـلوب المسـتعمل فيها فيتبادر إلينا أنها وفق الأهداف المسـطرة يسعى أصحابها إلى وضـع مبادئ أساسية تقوم على تحديد المفاهيم الأولية في عملية الجمع والتصـــنيف والترتيب والتفســـير وما إلى ذلك من المعطيات التي تساهم في إيصال المعلومة وتبليغها.

---

[1] الأب هو كل نبات ينبت على الأرض وترعاه الدواب، انظر لسان العرب ج1 ص 20.

[2] سالم أونيس فتحي بن معمر، محمد الحباسي، اللغة العربية الدلالات والصيغ، الترادف، دار النشر الجامعي الجديد، تونس، 2014، ص 61.

[3] المصدر نفسه، ص 61.

ومن هنا نجد أن معظمها يستعمل الترتيب الألفبائي أو ما يسمى بالمسرد ألفبائي وكثير ما يستعمل باللغة العربية في تفسير مصطلحاته، عربي فرنسي أو عربي إنجليزي، وقد تتعدد فيه اللغات حسب الأهداف التي سطرها المعجم الاصطلاحي.

وتكمن هذه الصورة من خلال ما يمكن الاطلاع عليه من المعاجم العربية على اختلاف أصنافها وأنواعها.

ثانيا: المعاجم اللغوية بين التدرج والمرحلية.

إن جهود المعجميين العرب لم ينقطع عبر التاريخ منذ الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث وضع معجم العين طبقا لهذه المواصفات اللغوية التي سوف نشير إليها.

عرفت المعاجم العربية تطورا وتنوعا عبر التاريخ المعجمي منذ النشأة الأولى، من أقدم معجم وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي إلى غاية المعاجم الحديثة التي صنعت لنفسها منهجا دون إغفال المنهج المتبع في المعاجم العربية القديمة، كما هو الشأن في المصباح المنير للفيومي والمعجم الوسيط.

أما المعاجم الحديثة فقد تتبعت منهجا عصريا باستعمال الصور ووسائل الإيضاح، والمطلع عليها يجد بعضها ينسج من بعض وبعضها يشير للبعض، فالخليل تتبع اللغة العربية واستلهمها من كلام العرب، فعلى الرغم من كون هذا المعجم هو أول معجم عربي، بل من أسبق المعاجم وضعا، ومع ذلك فإن معرفة الدارسين به محدودة للغاية والإفادة منه معدودة وربما يرجع ذلك إلى الترتيب العجيب الذي ابتكره الخليل في صنعه لكتاب العين. لأنه رتب مواده

اللغوية والاصطلاحية بحسب ترتيبه الخاص للحروف العربية ذلك الترتيب الذي راعى فيه الخليل ترتيب تلك الحروف في النطق.

فالملاحظ أن الخليل بن أحمد بدأ ترتيبه بأعمق تلك الحروف في النطق وأبعدها مخرجا في تصوره وهو العين ثم تدرج في الترتيب بحسب عمق المخرج وبعده حتى انتهى إلى أقربها مخرجا وهي الحروف الشـــفوية الفاء والميم والباء، ثم الحروف الهوائية وهي حروف المد الواو والألف والياء، أو الجوف كما سمّاها مضـــافا إليها الهمزة، حيث يقول: "فأقصـــى الحروف كلّها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشـــبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هاته في الهاء لأشـــبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف من حيّز واحد بعضـــها أرفع من بعض"[1]، وعلى هذه الشـــاكلة يواصـــل الخليل حديثه مع بقيـة الحروف التي رتب بها معجمه مقدما كل ذلك بـالدليل القاطع والحجـة البرهان مبيّنا ســبب اختياره هذا الترتيب، غير أن هناك نســخة من كتاب العين رتبت على حروف المعجم أي ترتيبا ألفبائيا وليس صــوتيا، وقد حققه ورتبه عبد الحميد هنداوي، يقول هنداوي في مقدمة تحقيقه، "وهذا الترتيب كما ترى لا يكاد يعرفه أحد من عامة المنشغلين باللغة، أما خاصتهم فليسوا على كلمة سواء إزاء ذلك الترتيب الذي ارتآه الخليل لحروف العربية فقد خالفوه في ترتيب بعض تلك الحروف تقديما وتأخير"[2]، ويعلل هنداوي تخريجه للكتاب مرتبا ترتيبا هجائيا بما

[1] الفراهيدي (الخليل بن أحمد) كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السـمرائي، دار الكتاب العربي بيروت ط5، 1978، ص 12.

[2] الفراهيدي (الخليل بن أحمد) المصـــدر نفســـه، داوي، منشـــورات دار الكتب العلمية بيروت ط1 2002، ص 4.

نصـه:" ولا شـك أن في ذلك من المشـقة والحرج ما لا يخفى، مما يجعل البحث في ذلك المعجم النفيس مقصـورا على الخاصـة من ذوي الهمم العالية، ولما كان لذلك المعجم من الفائدة للعامة ما لا يقل عن فائدته للخاصـــة ابتغينا تيســـيره وتذليله لهم بإعادة ترتيبه على الترتيب الذي اعتدوه في المعاجم الحديثة (أ ب ت ث ج ح خ ...)[1].

فالخليل قد أحصـى العربية إحصـاء تاما، وبذلك هيأ مادة مصـنفة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين الذين صـــنفوا المعجمات، لقد اهتدى الخليل إلى طريقة التقليب التي اســـتطاع بها أن يعرف المســـتعمل من العربية وأهمل ما عداه.

وهذا ما ذهب إليه الأزهري في معجمه تهذيب اللغة، الذي يعتبر من أهم المعاجم العربيـة، فقد احتل مكانـة مرموقة في تـاريخ التـأليف المعجمي العربي، وقد قال عنه ابن منظور صـاحب لسـان العرب في مقدمة كتابه: " ولم أجد في كتب اللغة أجلّ من تهذيب اللغة لأبي منصـور محمد بن أحمد الازهري"[2]، وقال صـــدّيق بن حســـن القنوجي في كتابه أبجد العلوم عن الأزهري وكتابه: "وكان جامعا لشـــتات اللغة، مطّلعا على أســـرارها ودقائقها، وصـــنّف في اللغة كتاب التهذيب، وهو من الكتب المختارة"[3].

---

[1] الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، المصدر السابق ص 4.

[2] انظر ابن منظور، لسان العرب، ج1 ص 9.

[3] الحسـن القنوجي، أبجد العلوم، الوشـي المرقوم في بيان أحوال العلوم دار الكتب العلمية بيروت ط1 1978، ج 3 ص 9.

ومن المسائل التي تسترعي الانتباه اهتمام الأزهري بمعجم الخليل والرجوع إليه فإنه ينقل عنه بعبارة قال الليث، وهذا نظرا أن الخليل أملى كتاب العين على الليث مشافهة، ثم أنه حين يرى شيئا في المعجم يوجه إليه النقد لا ينقد الخليل بن أحمد مشافهة وإنما إلى الليث، ونجد ذلك في مواضع كثيرة من التهذيب[1]. وهذا دليل على أن اللغة المعجمية لا بد من تواترها على المعجميين حتى يتم تمحصها بشكل قوي.

والأزهري يستمد مادته المعجمية من روافد متعددة فهو يورد في معجمه مستشهدا، بعلماء العربية الكسائي والأصمعي والفراء فهي أمثلة تتكرر في معجمه فالتهذيب للأزهري من المعاجم العربية التي سعت إلى الاهتمام بمعاني اللغة العربية وألفاظها، والذي يطالع هذا المعجم يدرك هذا الاهتمام بتنقية هذه اللغة من الشوائب، فمثلا الأزهر ينفسه يقول في مقدمة معجمه:» وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفسي ما ادخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيّرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب"[2]. وهنا دلالة واضحة عن أسباب وضع المعجم، أو بالأحرى الدوافع التي بسببها أقدم الأزهري على تأليف معجمه.

[1] الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر)، تحقيق أحمد مخيمر دار الكتب العلمية، ط 1 2004، ج 1 ص90 – في مادة عس ج1 ص 168 في مادة عرق.

[2] الأزهري (أبو منصور) المصدر نفسه، ج 1 ص 45.

كما كان هدف الأزهري تصـحيح ما دخل في كتب اللغة من تصـحيفات وتحريفات وتغييرات، كما كان من هدفه أيضـا تقييد ما سـمعه عن العرب وتصـحيح ما دخل في كتب اللغة من تصـحيفات وتحريفات وأخطاء شـائعة، ويؤكد ذلك ما جاء في معجمه: "أني قرأت كتبا تصـدى مؤلفوها لتحصـيل لغة العرب فيها مثل كتاب العين المنسـوب إلى الخليل ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا"[1].

المطلع على منهج الأزهري يدرك أنه سـار على منهج الخليل حيث رتب معجمه ترتيبا صوتيا وذلك في ترتيب الحروف حسب مخارجها، كما التزم بنظام التقليبات وكان يشير إلى المهمل والمستعمل في أول كل كتاب مع تعليل سبب الإهمال.

ولا يغيب عن دراسـتنا ابن فارس إذا سـلمنا بأنه يشـكل مرحلة مهمة في دراسة المعاجم العربية من خلال معجمه مقاييس اللغة، وبعده بن حماد الجوهري في كتابه تاج اللغة وصـحاح العربية ووصـولا إلى ابن منظور صـاحب لسـان العرب.

أما أحمد بن فارس في معجمه مقاييس اللغة الذي قال عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: " هو كتاب جليل لم يصـنف مثله[2]. ويقصـد ابن فارس بمقاييس اللغة أي باشتقاقاتها وإرجاع مفردات كلّ مادة إلى معنى أو معان تشـترك فيها هذه المفردات، غير أن ابن فارس انفرد بمنهج يخالف فيه سـابقيه،

[1] المصدر نفسه، ج1 ص 55.

[2] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي بيروت ط 2 2009، ج 2 ص 110.

حيث يقول والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صـدرنا كلّ فصـل بأصـله الذي يتفرع منه مسـائله، حتى تكون الجملة الموجزة شـاملة للتفصيل، ويكون المجيب عمّا يسأل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه"[1]. وحين يتحدث بن فارس عن مصادره فإنه يذكر معجم العين للخليل بن أحمد وجمهرة اللغة لابن دريد[2].

وورود هذه الأمثلة إشارة إلى أن الدراسة المعجمية بدأت مع هؤلاء تشكل النواة الرئيسـة في الدراسـة الاصـطلاحية، ومن هنا ندرك أهمية الدرس المعجمي عند المحدثين الذين أقاموا قواعد دراســـاتهم وبحوثهم على التراث المعجمي أولا قبل التطرق للمعاجم الاصطلاحية الحديثة والمعاصرة.

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق ابراهيم شـــمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1999، ج 1 ص 9.

[2] ينظر ابن فارس المصدر نفسه، ج1 ص 9.

المبحث الثالث: الصناعة اللغوية والاصطلاحية للمعجم.

لقد وضـــعت المعاجم لرفع العجمة وتوضـــيح الالتباس الواقع على المفردات وكشـــف المعاني ورفع غموضـــها، فتقوم غالبا بتجريد الألفاظ اللغوية المهمة في الرصيد اللغوي العربي وترجعها إلى أصلها، أي ما جاء من الأفعال والأسماء بالمزيد، ووضع الشروح للمفردات اللغوية بما يناسب طبيعة هذه اللغة في كثرة المعاني والدلالات، فالمعنى اللغوي والمعنى الاصـــطلاحي والاعتماد على الأمثلة التي تخدم المصطلحات في فهمها التقريبي. ووضع اصطلاحات الواردة برموزها حتى يسهل استعمال هذا المعجم، مثلا: إثبات الفعل المضارع بـــ علامة (ـــ) ووضع فوقها ضمة أو كسرة أو فتحة لوضوح إذا مضموم العين في المضارع أو مكسروها أو منصوبها.

ومن المعروف لدى لدارســين والمهتمين بالصــناعة المعجمية أنها مرّت بمراحل معينة كان على إثرها ذلك التطور الحاصـــل في ملاحظة التغيير الذي شـــملها عبر التاريخ، ومن أهم مراحله مرحلة التدوين أي تدوين الألفاظ اللغوية وتفســـيرها لأن في مقابل ذلك كان الاهتمام بالنحو والصـــرف وهذا ما جعلهم يهتمون بجمع اللغة لاســـتنباط القواعد منها، وجمع اللغة دعا إلى جمع الأدب الجاهلي حتى يتمكن علماء اللغة أن يستندوا في قواعدهم على الشواهد الثابتة الموثقة، ثم تلتها مرحلة تدوين الألفاظ وارتبطت هذه الألفاظ بالمعاني وشملت ما ورد في نثر العرب وشعرهم، واشتهر من أهل اللغة في هذا المجال الأصمعي وابن الأنباري والسجستاني، ثم تلت مرحلة أخيرة نضجت فيها صناعة المعاجم العربية ووصلت إلى أوجها واعتمدت هذه المرحلة على أوجه مختلفة من التعامل

مع ألفاظ اللغة العربية كترتيب الألفاظ بحسب مخارج الحروف، كما هو وارد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، والبارع لأبي علي لقالي، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، والمحكم لابن سيده، ومنها ما اعتمد فيها مؤلفوها على ترتيب الألفاظ بحسب أوائل الكلمات ومن أمثلة ذلك ابن دريد في جمهرة اللغة وابن فارس في مقاييس اللغة ومجمل اللغة، والزمخشري في أساس البلاغة، لتأتي قاعدة اعتمد فيها مؤلفوها الترتيب حسب أواخر الكلمات كما هو الشأن عند الجوهري في الصحاح، والفيروز آبادي في قاموس المحيط وعند ابن منظور في لسان العرب، وكذا الزبيدي في تاج العروس.

والملاحظ أن جل المعاجم بعد هذه المرحلة اتبعت في تصنيفها منهج الجوهري في الصحاح، وإن وجد اختلاف بينه لا يعدو أن يكون في الاتساع أو الشمول أو الإيجاز أو الاختصار لا في المنهج أو الطريقة، فالوقوف على منهج الجوهري كما يقول عليان عبد الفتاح يعني الوقوف عليها جميعا[1]. والحديث هنا يحيلنا إلى صحاح اللغة باعتبارها أكثر المعاجم اتباعا في المنهج والطريقة، فالواضح أن صاحبه سلك فيه مسلكا امتاز فيه عن سابقيه حيث أخذ بآواخر الجذر اللغوي فسماه بابا ثم الحرف الأول فسماه فصلا وربط بين حرفي الباب والفصل بتنسيق هجائي جيد ومحكم ونبعه في ذلك ابن منظور في معجمه قد وضع هذا المعجم في أواخر القرن الرابع الهجري وسماه تاج اللغة وصحاح العربية، ونظرا لأهميته وتميّزه صنف العديد من علماء اللغة مصنفات في

[1] عليان عبد الفتاح، كمال أحمد المقابلة، ابن دريد الأزدي أعلم الشعراء وأشعر العلماء، جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، عمان 2011، ج 2، ص 854.

تهذيبه والاستدراك عليه، حيث نجد صاحبه يقول في مقدمته:" أما بعد فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أُغلب عليه، في ثمانية وعشرين بابا، وكل باب منها ثمانية وعشرين فصلا، على عدد حروف المعجم وترتيبها إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم ألف ذلك نصحا، ولا ادخرت وسعا نفعنا الله وإياكم به"[1].

أما جمهرة اللغة يعد من التاريخية المعجم الثاني بعد العين في سلسلة المعاجم المهمة ذات المنهج الناضج[2].

ويذكر ابن دريد سبب تأليفه لجمهرة اللغة فيقول: "وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش، والعجز لهم شامل إلا خصائص كدراري النجوم في أطراف الأفق فسهلنا وعره ووطأنا شأوه وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة، إذ بالقلوب أعبق وبالأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة وطالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة مشفيا عن المراد"[3].

---

[1] الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية طبعة جديد مصححة، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 5، 2009، ص 16.

[2] عبد الرزاق الصاعدي، بحث خلل الأصول في معجم الجمهرة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة (د ت) ص3.

[3] ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)، جمهرة اللغة، بدار صادر بيروت طبعة جديدة، 2010، ج 1 ص3.

أولا: المعجم وربط الألفاظ بالمعاني.

لا يزال البـاحثون يتوارثون الخلاف العميق حول الربط بين الألفـاظ ومدلولاتها؛ فمنهم من ينتصـــر لهذا النوع من الربط ويتعصـــب له، وآخرون ينكرونه. وقد شـطر هذا الخلاف المفكرين من الفلاسـفة اليونان إلى شـطرين، فمال بروديكوس وســـفســـطائيوا القرن الخامس قبل الميلاد إلى وجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله[1]، وقد تبعهم أفلاطون في هذا الرأي، وذلك من خلال محاوراته كراطليوس، في حين عارضت طائفة أخرى تزعمها أرسطو وجود مثل هذه العلاقة، ورأت أن هذه الصـــلة بين اللفظ ومدلوله هي مجرد صـــلة اصـطلاحية تواضـع عليها الناس[2]، وقد مال ديمقريطس إلى هذا الرأي وأكد أن دلالة الألفاظ دلالة مكتسـبة، واسـتدل على ذلك بإمكانية إطلاق أسـماء جديدة على المسميات دون أن يتغير مضمون تلك المسميات بتغيير الأسماء.

تعتمد الدراسـة المعجمية أسـاسـا على علاقة اللفظ بالمعنى، فكانت جهود العرب في هذا المجال قائمة على تلك العلاقة بين الألفاظ والمعاني. وقد ظهر الخليل بن أحمد الفراهيدي كأول متحدث في هذه القضـية، محاولاً إثبات العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله حيث اعتقد" أنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا صرصر، " فالخليل يبرهن من خلال مقولته هذه على أن صـــوت الكلمة يحاكي معناها، فصـــوت

[1]علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية بيروت، (د ت) ص 295.

[2]إبراهيم أنيس، دلالة لألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 3، 1972، ص 63.

الجندب فيه استطالة ومد تناسبه كلمة" صر" دون تقطيع، وصوت البازي فيه تقطيع لذلك تناسبه كلمة " صرصر" التي نلمس التقطيع فيها[1].

وقد ذهب سيبويه إلى ما ذهب إليه أستاذه الخليل حيث أشار إلى وجود مناسبة طبيعية ليس بين اللفظ ومدلوله فحسب؛ وإنما بين الصيغة ودلالتها، حيث أكد أن صيغة فعلان تدل على الزعزعة والاضطراب والتحرك، ورأى أنهم " قد جاءوا بالفَعَلَان في أشياء تقاربت. وذلك: الطوفان والدوران والجولان، شبهوا هذا حيث كان تقلباً وتصرفاً بالغليان والغثيان، لأن الغليان أيضاً تقلب ما في القدر وتصرفه"[2]. وهذا يعني أن سيبويه جعل في مبنى الكلمة دلالة على المعنى، فمهما اختلفت الحروف في كلمة على وزن فعلان تبقى الكلمة تدور في فلك الاضطراب والحركة والزعزعة.

فمهما اختلفت الحروف في كلمة على وزن فعلان تبقى الكلمة تدور في فلك الاضطراب والحركة والزعزعة.

وقد أعجب ابن دريد بالعلاقة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها، حيث ألف كتابه الاشتقاق الذي يقوم على تلك العلاقة، فعلل أسماء الأعلام والقبائل في جزيرة العرب بناء على أفعالها وعاداتها، ورأى أن اسم قبيلة هذيل مأخوذ من الهذل وهو الاضطراب[3]، أما قضاعة فمن انقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم،

---

[1] انظر الفراهيدي، معجم العين، ج 3 ص 55.

[2] سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت ط1 (د ت) ج4 ص 117.

[3] ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط 1 1991، ص 176.

أو تقضـــع بطنه إذا أوجعه، أو وجد في جوفه وجعا[1]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل قام بتفسير أسماء العرب بناء على الصلة بين تلك الأسماء ومدلولاتها، حيث روى عن الســجســتاني قوله:" قيل للعتبي: ما بال العرب ســمت أبناءها بالأسماء المستشنعة ، وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة ؟ فقال: لأنها سمت أبناءها لأعدائها، وسـمت عبيدها لأنفسـها. فمنها ما سـموه تفاؤلاً على أعدائهم نحو: غالب وظالم ومقاتل وثابت. ومنها ما يســمى بالســباع ترهيباً لأعدائهم نحو: أسـد، وليث، وذئب. ومنها ما سـمي بما غلظ من الأرض وخشـن لمسـه وموطئه مثل: حجر، صخر.

فابن دريد يرى أن العرب ســمت أبناءها بتلك الأســماء لأنها تكســب أصــحابها القوة والشــدة، وتقذف في قلوب أعدائهم الرعب، وهذا يدلل على تلك الرابطة التي استشعرها ابن دريد بين اللفظ ومدلوله.

وقد تبع ابن فارس من ســبقه بهذه الفكرة، ووضــع معجمه مقاييس اللغة، حيث بذل فيه مجهوداً كبيراً لاستنباط الصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، وساق أمثلة كثيرة لتأييد مذهبه، فرد أصــل باب القاف والطاء وما يثلثهما إلى معنى القطع، فيرى أن القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد يدل على صرم وإبانة "[2]، وإذا ثلثتهما الفاء فإنها تدل على أخذ الثمرة من الشــجرة، وإذا ثلثتهما اللام فإنها تدل على قطع الشــيء، وكذلك الأمر إذا ثلثتهما الميم[3]. وقد جاء عن ابن

[1] ابن دريد، المصدر السابق، ص 536.

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2 ص 101.

[3] أحمد بن فارس، المصدر السابق، ج 2 ص 102.

فارس قوله: " القلم لا يكون قلماً إلا وقد بري وأصلح وإلا فهو أنبوبة، وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي: ما القلم؟ قال: لا أدري. فقيل له توهمه، فقال: هو عود قلم من جانبه كتقليم الأظفور فسمي قلماً[1].

ويشير ابن سيده في مقدمة كتابه المخصص إلى أن اللفظ هو صفة تلتزم المعنى والإنسان منوط بنطقها مع دلالتها المعجمية، فيقول بما يقدمه من استدلال: " فإن الله عز وجل لما كرم هذا النوع المرسوم بالإنسان وشرفه بما آتاه من فضيلة النطق على سائر أصناف الحيوان، وجعل له رسماً يميزه، وفضلاً يبينه على جميع الأنواع، فيحوزه أحوجه إلى الكشف عما يتصور في النفوس من المعاني القائمة فيه المدركة بالفكرة، ففتق الألسنة بضروب من اللفظ المحسوس ليكون رسماً لما تصو، وهجس من ذلك في النفوس"[2]. ويرى بعد تحليله هذا أن اللغة اضطرارية وإن كانت موضوعات ألفاظها اختياريةً، فإن الواضع الأول المسمى للأقل جزأً وللأكثر كلاً، وللون الذي يفرق شعاع البصر فيبثه وينشره بياضاً وللذي يقبضه فيضمه ويحصره سواداً، لو قلب هذه التسمية فسمى الجزء كلاً والكل جزأً والبياض سواداً والسواد بياضاً لم يخل بموضوع ولا أوحش أسماعنا من مسموع، ونحن مع ذلك لا نجد بداً من تسمية جميع الأشياء بأسمائها ليمتاز بعضها من بعض بأجراسها وأصدائها كما تباينت أول وهلة بطباعها وتخالفت قبل ذلك بصورها وأوضاعها، ونعما ما سددت الحكماء إليه

[1] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، ج 2 ص 77.

[2] ابن سيده (أبو الحسن علي) المخصص، دار الكتب العلمية بيروت (د ت). ج 1 ص 2.

في ذلك من دقيق الحكمة ولطيف النظر والصـــنعة لما حرصـــوا عليه من الإيضاح وأغذوا إليه من إيثار الإبانة والإفصاح[1].

يقول حلمي خليل يمتاز معجم المخصـص بأنه يجمع في موضـع واحد الكلمات والمفردات المتعلقة بموضـــوع واحد، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون مصطلح الحقول الدلالية"[2]

كما أعجب صـبحي الصـالح بما صـنعه ابن جني وأيد مذهبه فيما يتعلق بالمناســبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، وأكد أن اللغويين عامة والعرب منهم خاصـــة أقرب ما يكونون من ثبوت المناســبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، واعتبر ذلك فتحاً مبيناً في فقه اللغات عامة[3].وكان محمد المبارك من المؤيدين للمناســبة الطبيعية، حيث اعتبر أن الحرف في اللغة العربية له إيحاء خاص يهيئ النفس لقبول المعنى، ويحمل دلالة نســبية إن لم تكن له دلالة قاطعة[4]. وعلى الرغم من ذلك الحماس لتأييد المناســبة الطبيعية عند جمهرة العرب المحدثين؛ فقد كانت هناك طائفة غير يسيرة رأت خلاف ذلك، حيث أكد إبراهيم أنيس معارضته لتلك الفكرة، حيث رأى أن الألفاظ رموز على دلالات يصلح أن يتخذ كل منها للتعبير عن أي معنى من المعاني، وساق لذلك كلمة شجرة إذ لم يجد فيها ما يدل عليها من فروع وأوراق وغيرها؛ ولذلك يمكن أن تسمى بأي لفظ

[1] ابن سيده (أبو الحسن علي) المصدر نفسه، ج 1 ص 3.

[2] حلمي خليل دراسات في اللغة والمعاجم، ص 340.

[3] انظر صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين بيروت، ط 4 ص 105.

[4]انظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط 2 2005، ص 261.

آخر يصطلح عليه الناس[1]. ويعبر عن رأيه صراحة بقوله: "ولا شك أن الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللغوية"[2].

وعلى كثرة المعاجم العربية اختلفت في المنهج وفي طريقة التناول، كما اختلفت في بعض الأحيان في توليد المعاني، ولقد خصص الباحثون لدراسة الألفاظ المفردة جانبا كبيرا من الاهتمام في معاجمهم، وأُول هذا الاهتمام في توضيحهم للتباين الحاصل بين الاصطلاحين اللفظة والكلمة، وإن كان أكثر النحويين يضعون تفسيرا دقيقا لذلك يقول ابن عقيل في شرحه على الألفية:

" اللفظ جنس يشمل الكلام والكلمة والكلم، والكلم يشمل المهمل كـ (ديز) والمستعمل كعمرو "ثم يضيف ويقول: "والكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد"[3]. فمن كلام بن هشام يظهر مدى توضيح المفهوم الخاص من أن اللفظ أشمل وعليه سار أهل اللغة"[4].

ففي معجم مفردات ألفاظ القرآن يقول الراغب الاصبهاني، في مادة "عجم" العجمة خلاف الإبانة، والإعجام الإبهام والعجم خلاف العرب، وسميت البهيمة

---

[1] انظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 72.

[2] ابراهيم انيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3 1976، ص 77.

[3] ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله)، شرح الألفية، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، 1985، ج 1، ص 15.

[4] ابن هشام (جمال الدين الانصاري)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله مديرية الكتب والمطبوعات دمشق، (د ت) ج1 ص 491.

عجماء من حيث أنها لا تبيّن عن نفســـها بالعبارة إبانة الناطق[1]. ولهذا أكثر علماء اللغة أن حروف المعجم سميت أعجمية لأنها متجردة.

لقد ركزت المناهج اللغوية في دراســـة المعنى على المعنى المعجمي، أو دراسة معنى الكلمة المفردة باعتبارها الوحدة الأساسية التي يعتمدها النحو وعلم الدلالة. ويتطرق إلى هذه المسألة أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة وأشار إلى أن المادة المعجمية هي أســـاس تواجد الحقول الدلالية حيث يقول: " قادت نظرية الحقول أو المجالات إلى التفكير في عمل معجم كامل يضم كافة الحقول الموجودة في اللغة، وتقدم فيه المفردات داخل كل حقل على أســـاس تعريفي تسلسلي"[2].

ثانيا: المعجم الاصطلاحي المتخصص.

وحقيقة المعجم العربي أنه علم أســاســه ما نقل عن مســموع، ولا شــراكة للمعقول، ومن ثم ترتيب مادته المجموعة وفق نمط من أنماط التراتبية في اللغة العربية التي تعتمد مخارج الأصـــوات تارة ونظام الحروف الهجائية تارة أخرى، بأن تصـنف على أسـاس مبدأ المفردة أو منتهاها أو على أسـاس خيارات أخرى في الترتيب حينما تعتمد على مثلث الكلام أو مشــجر الاشــتقاق، وهذا ما أدى إلى نشـــوء عدة مدارس معجمية، فالمعجميون الذين اعتمدوا نظام مخارج الأصوات لتصنيف مادتهم اللغوية المجموعة، لم يكن لهم ليتفاضلوا عن غيرهم،

[1] الأصــفهاني (أبو القاســم الحســين بن محمد)، معجم مفردات ألفاظ الفرآن، تحقيق يوســف محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 2006، ص 243.

[2] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط 6، 2006، ص 83.

ممن اعتمدوا أنظمة أخرى، بل إن المفاضلة بين المعاجم لا تنعقد إلا في إثبات ما نطقت به العرب شعرا ونثرا في مقامات تواصلية مختلفة.

أما إذا تعلق الأمر بالمعاجم المختصة فهي المعاجم المختلفة التي تشمل على علم أو فن معين أو مجال معين، وهي التي تشتمل على مصطلحات اختصاص معين كالصوتيات والطب، والفلك، والفلسفة وغيرها، أو مجموعة اختصاصات متجانسة تنتمي لنفس العلم والمجال كمجال العلوم اللسانية أو الإنسانية والاجتماعية أو الاقتصادية أو التقنية كل بفروعها المختلفة.

والملاحظ أن مجالاتها أوسع بكثير من مجالات المعاجم المختصة القديمة، وقد كان فيها للعلوم التقنية والتكنولوجية نصيب كبير من الاهتمام.

وتجدر الإشارة أيضا أن أغلب هذه المعاجم المختصة هي إما ثنائية أو متعددة اللغات تحل فيها اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية المرتبة الأولى، وتصل في بعض الأحيان حتى خمسة عشر لغة وأكثر، وتنقسم المعاجم المختصة الثنائية والمتعددة اللغات من حيث عرضها وطريقة استعمالها ونوعية المعلومات المتوفرة فيها وكميتها. وهي إما المعاجم المنشورة في شكل كتاب كما هي مدونة في الكشافات المعجمية أو تلك المعاجم المعدة للخزن في بنوك المصطلحات. وقد يكون المدخل بمسرد ألفبائي بلغة أجنبية، ويكون توضيحها وتفسيرها بلغة عربية، أو يكون المدخل باللغة الانجليزية. مع مقابلاته بالفرنسية والعربية[1].

[1] إبراهيم السامرائي، معجميات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ص 38.

وهنا لا بد من النظر إلى أنواع المعاجم التي تبدو في كثير من الأحيان مقسمة إلى أقسام ما يتعلق بالمسارد منها مسرد ألفبائي عربي المصطلحات، أو مسرد ألفبائي فرنسي المصطلحات. أو ما كان باللغة الانجليزية. مع مقابلاته بالفرنسية والعربية.

ومنها المعاجم المختصة: وهي على أعلى درجة من الفائدة مقارنة بالمسارد التي تفتقر إلى التعريف والتوثيق وهي نوعان، المعاجم المختصة الموسوعية: وهي التي تشتمل على عدة معارف وعلوم وفنون، وتتوسع في شرح مصطلحاتها وفي استعمال وسائل الإيضاح المختلفة من صور ورسومات وبيانات وجداول، وخرائط وكشافات وغيرها، وتعرف غالبا باسم دوائر المعارف[1].

فالمعجم العربي وسيلة لغوية كانت حرفة سابقا وأصبحت صناعة، ويهتم المعاجم بجمع اللغة كما هو سائد منذ المراحل المتقدمة من صناعتها وقد وضعت هذه المعاجم أسسا تتصل باللغة وبالخصوص بمفرداتها ومفاهيمها التي ترتبط بها ارتباطا قويا دون أن تهمل العلوم اللسانية المتنوعة من علم الدلالة والنحو والصرف. المعجم العربي وسيلة لغوية هدفها جمع اللغة مفرداتها وارتبطت هذه المعاجم بشتى علوم اللسان النحو الصرف والبلاغة والإملاء وهو أيضا في الوقت نفسه وسيلة لغوية وصناعة تهتم بجمع اللغة ويسعى إلى وضع

[1] انظر دائرة المعارف الإسلامية تحقيق إبراهيم زكي خورشيد وآخرون مركز الشارقة للإبداع الفكري ط1 1998. 33 مجلد. ودائرة معارف القرن العشرين، فريد وجدي، دار المعرفة بيروت ط3 1998.دار المعرفة بيروت، المجلد 10، ص 298.

أسس تتصل باللغة وبالخصوص بمفرداتها التي ترتبط ارتباطا متينا بعلوم لسانية شتى منها علم الدلالة والنحو والصرف وضروب الأدب من نثر وشعر.

لكل معجم موحد اللغة أو ثنائيّها خصـــائص تفرده عن ســـواه، وتحدد شـــخصـــيته وتعلل البواعث الداعية إلى ظهوره، ومن ثم الدوافع التي تهيب من بعد بالإقبال عليه واقتنائه والوثوق به.

ليس كل المعاجم ذات قيمة علمية لا يرقى إليها الشـك، وليسـت جميعها متســاوية في قيمتها، وإنما هناك عناصـــر مهمة يجب توفرها في المعجم حتى يمكن القول بأنه معجم جيد وعلمي، وهنا ناحيتان يجب مراعاتهما قبل الحكم على معجم من المعاجم الجانب الضـــمني للمعجم المتعلق في تصـــنيفه وخطة عمله وشـــموله وطريقة معالجته للمفردات ومعانيها ولســـائر المصـــطلحات. والناحية الثانية جدة المعلومات وعصرنتها خاصة في المعاجم الحديثة

ثالثا: الأبعاد المعرفية للمعجم المتخصص.

والمعاجم الخاصـــة عنايتها بشـــتى المعارف والعلوم من طب وتشـــريح ورياضيات وفيزياء وكيمياء ونبات وزراعة وطيور وحشرات وحقوق وتجارة وفلك وفلسفة وعلم النفس ومنطق وآثار إلى آخره من المعارف، الأمر الذي يسهل فهم المصـــنفات العلمية بالإضـــافة إلى الكتب الأدبية، وبعضـــها يتوخى بالإتيان باللفظة العربية ويعادلها باللفظة الأجنبية (الفرنسية أو الانجليزية، وبعضهم يلجأ إلى دعم ذلك بالصور الموضحة.

ومن خلال التتبع والتقصـي لأنواع المعاجم نقف مثلا على (المنهل) وهو معجم فرنسـي عربي فنجده قد اعتمد على معجم المصـطلحات الفنية وقد نشـر

بالقاهرة، وأيضـا كتاب المصـطلحات الفلسـفية الذي وضـعه محمد عبد العزيز الحبابي، والمعجم الطبي ليوســف حتّي، ومعجم الألفاظ الزراعية بالفرنســية والعربية الذي ألفه مصطفى الشهابي، والمعجم القانوني من تأليف خليل شيبوب، ومجموعة المصــطلحات العلمية الفنية وكذلك معجم الوســيط اللذان أخرجهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

كما اعتمد معجم الفيزياء والكيمياء والرياضــيات الذي أخرجه المركز الوطني للتعريب بالمغرب الأقصــى، زيادة على معجم الحيوان، والمعجم الفلكي لأمين معلوف، وأيضــا اعتماده معجم الفقه والقانون وعلى اللســان العربي وهي مجلة للأبحاث اللغوية ونشــاط الترجمة والتعريب في العالم العربي الذي أنجزه المكتب الدائب لتنسيق التعريب المنشور بالمغرب[1].

وكلّ هذه المعاجم على اختلاف مشــاربها وتنوعها نجد أنها قد أســهمت بشكل كبير في وضع معجم المنهل كما يشير سهيل إدريس في مقدمة معجمه.

ويسـوقنا الحديث عن معجم اللغات الوسـيط الذي وضـعه جروان السـابق فنجد صــاحبه يقول في المقدمة: "هو آخر ثمرات الأعوام العشــرين من التأليف المعجمي المتميّز بالبحث المتواصل والتنقيب المستمر والإسراف في بذل الجهد لخلق أفضل المراجع الفكرية والعلمية"[2].

[1] ينظر ســـهيل إدريس، المنهل قاموس فرنســـي عربي، دار الآداب للنشـــر والتوزيع بيروت ط 42 2010، ص 10 – 11.

[2] جروان الســابق، معجم اللغات الوســيط، (انكليزي فرنســي عربي، ط1 دار ســابق للنشــر بيروت، 1985، ص95.

هذه المعاجم الحديثة أســـهمت في الانفتاح على اللغات والحضـــارات الحديثة في شتى مناحيها.

وأما معاجم الاصـــطلاحات تكون إما بلغة واحدة، وهذه تتمم المعاجم اللغوية العامة عن طريق إيراد تعريفات أدق وتمييز أوضـــح، وتورد كثيرا من الاصطلاحات الفنية والتقنية والخاصة التي حذفت من المعاجم العامة، والهدف الرئيســـي لهذا النوع من المعاجم هو إعطاء تعاريف محدودة، وهذه المعاجم قد تكون أيضا في لغتين أو أكثر[1].

وهناك معايير اعتمدها اللغويون العرب في تقسيم المعاجم، وهناك مناهج اتبعها اللغويون ترتيب مواد المعاجم، وتبويب أقســـامها مع مراعاة لبنية المعجم العربي ونظام لمفرداته مع وجود نظرية تقوم على رصـــد هذا النظام، فوضـــع المعاجم كان على أساس تعريف المدلول وتعريف المرادف.

وأســوق هنا مقارنة بين معجمين أســاس البلاغة ومعجم الوســيط فالأول للزمخشـري، والثاني صـنعه مجمع اللغة العربية (القاهرة)، وربما المقارنة بين ما هو قديم وما هو جديد في منهج التفســـير وفي التعامل مع المفردة، فتظهر من خلال المقارنة تعامل كل معجم بطريقة تختلف عن الآخر فيما إذا تناولنا الجذر اللغوي الواحد في كليهما.

فمثلا مفردة (جذع) حرف الجيم والذال والعين ففي معجم اساس البلاغة، مادة جدع (جدع انفه واذنه فهو مجدوع وإذا لزم النعت قيل هو أجدع، وهي

[1] محمد ماهر حمادة، المصـادر العربية والمعربة، مؤسـسـة الرسـالة للنشـر والتوزيع بيروت، ط 6 1987، ص 31.

جدعاء وبه جدع ولا يقال جدع بفتح الجيم ولكن جدع بضـم الجيم، كما لا يقال في الأقطع: قطع ولكن قطع بالضم القاف وما أقبح جدعته وهي موضـع الجدع كالصـلعة ومن المجاز: جدع الصـبي اسـيئ غذاءه وقطع فهو جدع وبه جدع، يقال: جدعوا وليدهم وأجدعوه، وجدع القحط النبات.

أما في المعجم الوســـيط: جدع: جدع ا(ج) قطع طرف من اطرافه فهو اجدع وهي جدعاء.أجدعه: أسـاء غذاءه جادعه: مجادعة خاصـمه جدع: جدع النبات قطعه من نواحيه وأعلاه تجادعا: تعاديا الجداع: من الكلاء.

ومما يســتنتج من هذه المقارنة أن معجم أســاس البلاغة يهدف بخلاف المعاجم الأخرى إلى الاهتمام بالعبارات المركبة لا المفردة، فهو مورد للألفاظ البيانية البلاغية ومصــدرها. ثم إنه انفرد بذكر الشــواهد المختلفة التي ســاقها الزمخشري من اقوال وأمثال العرب والأعراب الفصحاء[1].

والزمخشــري في معجمه لم يورد أي مادة دون عرض الشــواهد، فقد فرق في معجمه بين الحقيقة والمجاز. فأســاس البلاغة لا يورد التعاريف، وإنما يورد العبارات الفصيحة.

أما معجم الوسيط: فهو من أدق المعاجم الحديثة منهجا وشرحا حيث مزج بين الألفاظ الحديثة والألفاظ القديمة، فقد حافظ على ســلامة اللغة وعرضــها بطريقة سهلة وبسيطة. وقد أحسن استثمار للتقنيات اللغوية بشكل جيد[2].

---

[1] انظر الزمخشــري (أبو القاســم محمود بن عمر) أســاس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط 6 1987، ص 31.

[2] انظر المعجم الوسيط، إشراف إبراهيم مصطفى وآخرون، (د ت)، ص 6.

ومن هنا يمكن القول إن الزمخشـري في معجمه أسـاس البلاغة سـلك مسـلك خالف فيه المصـنفات التي كانت قبله، وهدفه من وراء ذلك بلاغي بالدرجة الأولى، وهذا جلي من خلال عنوان معجمه، أما معجم الوسيط فهو ثمرة جهود جماعية هدفها التسـهيل والتيسـير على الباحث، كما جاء ليلبي حاجات العصر بنمط حديث وبأسلوب متناول هدفه التعريف بحد ذاته.

المبحث الرابع: المعجم الطوبونيمي ودلالة أسماء الأمكنة.

ارتبطت الدراسات الطوبونيميا الحديثة بالمجال المعجمي، لأن الطوبونيميا في أصـــولها تعتمد على الترتيب وتحديد المواقع، وعليه فالمواقع التي تتحدد طوبونيميا لا بد من إدراجها معجميا، ولما كان موضـــوعنا له علاقة بمواقع الزوايا بمنطقة معســكر فكان الجانب المعجمي حاضــر في الدراســات الحديثة باعتباره أحد المرتكزات التي تقوم عليها أي دراسة تستدعي التعامل مع اللغة في إطارها المعرفي الشامل، خصوصا إذا اقتضت الضرورة تحديد الدلالة الصحيحة والموثوقة في تعيين المواقع وتفسيرها وفق الوضع المعجمي الذي يفضي بوصفه وضعا لغويا مفسرا.

وتظهر أهمية المعجم الطوبونيمي: في أنه "يقدم المادة اللغوية العلمية عن المناطق المختلفة التي تتناولها مما يفيد الباحثين في تنمية المعارف اللغوية والجغرافية. كما يعمل على استحضار كل الألسن المتداولة في مجال الدراسة والبقاء على اتصال بالمختصين في المجال اللساني. والتمكن أيضا من تحصيل الصيغة الأصلية لكيفية نطق الأهالي للطوبونيم قيد الدراسة. ويجبر الباحثين إلى العودة لكل المختصين في المجالات المرتبطة بعلم الطوبونيميا سواء كانوا مؤرخين أو أنثروبولوجيين أو أركيولوجيين أو أثنولوجيين"[1].

يعتبر العلم بالمكان في مثابة الوثيقة التاريخية، لما لهذا العلم من مكانة في زمن أصبح للمكان تاريخ وأرشيف يتعلق به وتزيد ضرورة تحديد المكان وما

[1] المجلس الأعلى للغة العربية، المعجم الطوبونيمي، ج1، ص09-10.

يتعلق به من مشـــاهد في المجتمعات التي تفتقد الأرشـــيف أو يقل التعامل به غالبا، وخاصة تلك المعالم التي هي آيلة للزوال والاندثار.

الهدف والغاية من توظيف الطوبونيميا هو اســـتيعاب هذه الأماكن التاريخية وإعادة قراءتها جغرافيا وتاريخيا أصـــولها امتدادها وأماكن تواجدها وطريقة تصـــميمها ما يحيط حولها من رموز وشـــخصـــيات وأحداث حتى من الناحية الهندسية، والطوبونميا هي قراءة في فهم المعاني لهذه الأصول المكانية الجغرافية والتي بعضـــها اندثر وبعضـــها الآخر يوشـــك أن يزول أثره والبعض الآخر ما يزال قائما رغم العوامل والتغييرات.

وهنا نحن في هذا البحث بصـــدد مجال رصـــد الأماكن والتغييرات التي لحقت الزوايا، والتعريف بأســمائها بطريقة معجمية اصــطلاحية، ونســتطيع أن نســـميها بالطوبونيمية العرفانية باعتبارها مركزا تصـــوفيا بالإضـــافة إلى دورها التربوي والتعليمي وما تكسبه من خصوصية تاريخية على الصعيد المعرفي.

أولا: المعجم الاصطلاحي للطوبونيميا.

اعتمدت الطوبونيميا منهجا يعود إلى الحفاظ على نظام الوحدة التاريخية الاجتماعية والثـقافية والتـرابية للمجتمع الواحد وفق ما تستثمره الدراســات والأبحاث اللغوية الطبونيمية، وكذلك أهمية الدراســـات اللغوية الطبونيمية في دعم هذه الوحدة سلوكيا ونفسيا ودعمها بكل الوسائل لتظل داخل المنظومة الفكرية للمجتمع الواحد.

كما تهدف إلى الشـــعور بالحاجة الاســـتراتيجية والملحة إلى التأصـــيل اللغوي من خلال إنشـاء خرائط طوبونيمية وتطويرها عبر دراسـة شـاملة للأماكن

وتحديدها جغرافيا. وأيضـــا ربط المســـائل اللغوية وتعليلها في ضـــبط علاقتها بالتسميات دون أن نهمل عنصر الاحتكاك اللغوي الجغرافي الذي اعتبره الهدف الذي تقوم عليه الدراسات الطوبونمية.

ومن خلال هذا الاحتكاك اللغوي بالمنظور الجغرافي يظهر مدى ربطها بالأبعاد اللغوية في إطلاق الإسلامي على هذه المسميات.

ثانيا: الطوبونيميا والتراث العربي القديم.

الاهتمام بالجانب الطوبونيمي ليس حديث العهد، ولكن له جذوره منذ القدم، فإننا نجد الكثير من العلماء لهم اهتمام بهذا الشـــأن. فعبيد الله البكري الجغرافي الأندلســـي يتناول في كتابيه الأول المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتابه المسالك والممالك، والثاني معجم ما اسـتُعجِم من أسماء البلاد والمواضع. ففي كتابه الأول المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب فيه ملامح وإشـــارات بأهمية المكان وتحديد جغرافيته وربطه بمواقعه التاريخية وبأهله وســـاكنيه، ففي مقدمة الكتاب يعقد بابا بعنوان " المشـــهور من المدن والقرى في الطريق من مصر إلى برقة والمغرب"[1].

ويعتبر كتاب المسالك والممالك من الكتب الجغرافية التاريخية العربية، فقد جمع فيه الأحداث التاريخية من بدء الخليقة إلى غاية القرن الخامس وهو القرن الذي عاش فيه. وفي كتابه المســـالك والممالك جمع المكان بالوقائع التاريخية

[1] البكري (عبيدا الله) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المســـالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، ص 4.

التي ذكرتها المؤلفات السابقة، كما وأشار البكري في كتابه هذا طبائع الأقوام والأمم ووصف مسالكهم وممالكهم مبيّنا مواطن قوتها ومواطن ضعفها.

إذا كان العمل المعجمي من أهم الأعمال التي تندرج ضمن المجال اللغوي، وأدقها على الإطلاق، فقد شغل الإنسان ولا زال يشغله على مر العصور، التفرغ لقيمة المعجم المزدوجة العلمية والتعليمية. وكان من المفروض أن نرجع إلى قيمة المعجم الطوبونيمي خصوصا، لأن كثيرا من المعاجم القديمة أشارت إلى ذلك كما هو الشأن في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، فهذا المعجم يعتبر من أهم المعاجم الجغرافية الإسلامية التي لا يمكن للعلماء والأدباء الاستغناء عنها لأهميته في معرفة المواقع وأسماء البلدان والمدن والقرى وأنواع الأماكن كأسماء الجبال والأنهار والبحار والأودية إضافة إلى أسماء من نبغ في كلّ موضع من المواضع، حيث يشير الحموي إلى اسم العالم المشهور بها ونسبته ويسوق نبذة من ترجمته.

وقد رتب المؤلف كتابه على حروف الهجاء وراعى في الكلمة ترتيب حروفها، وضبط أسماء بلدانه ضبطا جيّدا.

ويبين ياقوت الحموي منهجه ودوافع تأليفه بقوله:" أما بعد فهذا كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقرى والأوطان والبحار والأنهار. لم أقصد بتأليفه، وأصمد نفسي لتصنيفه، لهوا ولا لعبا ولا رغبة حثتني إليه ولا رهبا، ولا حنينا استفزّني إلى وطن، ولا طربا حفّزني إلى ذي ودّ وسكن"[1]. فيظهر من ذلك

[1] الحموي (ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1 2008 ج 1، ص 17.

مدى اهتمام العلماء الأوائل بوضـــع معاجم خاصـــة بالأمكنة وعلاقتها بالتاريخ وبالزمان والإنسان.

ويفصــل الحموي في مقدمة في كتابه عن أهمية التصــنيف المؤلفات في المواقع والأماكن بقوله:" قد صـــنف المتقدمون في أســـماء الأماكن كتبا وبهم اقتدينا وبهم اهتدينا وهي صــنفان منها ما قصــد بتصــنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المســكونة المشــهورة، ومنها ما قصــد به ذكر البوادي والقفار واقتصــر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار"[1].

ثالثا: الطوبونيميا والدراسات اللسانية.

الدراســات اللســانية الحديثة ارتبطت بالدراســات العلمية الدقيقة لعلوم اللغة ركزت اهتمامها على علوم اللســـان، واعتمدت تحديدا على الســـياقات اللغوية وتناسب الأنماط الرئيسة للكلمات، مع المكونات الأساسية للفكر اللغوي العربي، وإعطاء الأهمية التاريخية لعلوم اللغة وخاصة من خلال الدرس اللساني.

إذا كان الاهتمام في البداية يتعلق بالدرس اللســاني، فلابد من الرجوع إلى علم الدلالة التاريخي وعلاقته بباقي المســتويات، وخاصــة المســتوى الصــوتي والتركيبي، والبحث على القوانين التي من خلالها يتم تطوّر معنى الكلمات في إطار البحث عن الأصول التي تمتاز بها علوم اللسان، وهذا في ضوء النظريات العلمية الحديثة ومناهج التحليل اللغوي في مختلف المفاهيم اللغوية المعاصـــرة وفي نظريات الخطاب والنحو التوليدي التحويلي، وربط هذه النظريات كلّها بما أورده اللغويون القدامى والبحث في تراثهم اللغوي.

[1] الحموي (ياقوت بن عبد الله) المصدر نفسه، ج 1، ص 18.

وسنحاول في بداية هذه الدراسة أن نبيّن بكيفية واضحة المعيار اللغوي العربي، الذي تجسد وبخاصة فيما احتوته النظرية الخليلية التي جاء بها الحاج عبد الرحمن صالح، واهتم بمضمونها باعتبارها جزءا لا يتجزأ من التراث، وباعتباره أحد أبرز المهتمين بهذا التراث.

ولإثراء ذلك كان لا بد من الوقوف على المعارف الضرورية لهذه النظرية التي أسس لها عبد الرحمن الحاج صالح، والتي عقد الصلة فيها بين القديم لحديث بشكل موثّق ومدروس، بداية بالقواعد النّحوية التي اعتمدها النحويون القدامى مجسدة في التراث النحوي للخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، وربط هذا التراث النحوي الخليلي بالمفاهيم اللسانية الحديثة المستوحاة من التراكيب النحوية العربية القديمة.

رابعا: معايير صياغة التعريف القاموسي.

إن هدف قواعد صياغة التعريفات القاموسية لا تستجيب للقواعد المصوغة، ومن ثم تنطبق عليه إشارة المكونات الخاصة بالقاموس، فإن مهمة المعجمي القاموسي عند وضع تعريف للفظة ما فيجب تجزئة مكونات اللفظة أو بعض مكوناتها وتغيير بعض التفاصيل مما من شأنه أن تكون له انعكاسات غير متوقعة، ومواءمة معطيات جديدة سياقية، فيوجد إذن خطر الضياع داخل متاهة المبادئ والقواعد والمعايير، ولتوقي من هذا الخطر فإننا نعتقد أنه من المفيد أن نقترح قائمة في المشاكل التي ستعالج عند وضع التعريفات، وهي

قائمة فحص قاموســـي[1]. فهذه الفكرة تخطت المفاهيم القديمة، وبنيت على تجليات الرؤى الجديدة.

وفكرة من هذه القوائم ليست جديدة فلقد تم عرضها وخاصة كما طرحها العديد من المهتمين بهذا لطرح الدلالي، وينوه صـــاحب كتاب مقدمة لمعجمية الشـــرح والتآلفية من أن الألفاظ غالبا ما تكون الثراء، وقد يغرق المعجمي في تنوع المعاني والمتعاملات وغيرها حتى تغيب عن أعينهما على هذا النحو من المتشابهات والاختلافات بين المعجمات المكونة للفظ[2]، وهذا دليل آخر على أن التطور المعجمي لا يزال صورة من صور التقابل اللساني.

[1] إيغور مالتشـــوك، أندري كلاس، الان بولغار، مقدمة لمعجمية الشـــرح والتأليفية، ترجمة، هلال بن حسيد المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2010، ص212.

[2] انظر إيغور مالتشوك، أندري كلاس، الان بولغار، المصدر نفسه، ص 316.

الفصل الثاني

زوايا الغرب الجزائري بين الدور التاريخي والتواجد الجغرافي

المبحث الأول: الزوايا بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي.

المبحث الثاني: الزاوية والتراث التاريخي.

المبحث الثالث: الزوايا ومنابر التأسيس الصوفي في الجزائر.

المبحث الرابع: التشكيل المكاني الطوبونيمي لمواقع زوايا الغرب الجزائري.

تمهيد

إن الكتابة في التصـــوف تتطلب رجوعا إلى منابع نصـــوصـــه نفســـها. والبحث الصـــوفي حتى يكون بحثا صـــوفيا عليه أن يرجع إلى الجذور وطبيعة الفكرة التي أســس عليها التصـوف بعده الفكري، حتى أن بعضــهم لم يميّز بين التجربة الصـوفية، والتعبير عنها. فالتجربة الصـوفية تقف فيها ذات المتصـوف في مواجهة حبها أو معرفتها، وهي تجربة قرب وعرفان، مجالها القرآن والســـنة بصـريح قوله تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله"[1]، وقوله تعالى: "ويتفكرون في خلق الســـموات والأرض"[2]، والتعبير عن التجربـة الصـــوفيـة هو خروج من الذاتيـة الداخلية إلى الآخرين، كما ســمتها الكاتبة ســعد الحكيم في معجمها بقولها هي عودة الصوفي من رحلته في الأعماق إلى الآفاق[3]، وقد عبّر عنها الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في الفتوحات المكيّة من أن التجربة الصوفية هي الظاهر، والتعبير عنهـا هو المظهر فلا تظهر التجربـة إلا في مظهرهـا متحققـة في كلمات[4].

---

[1] آل عمران: 282.

[2] آل عمران: 191.

[3] سعاد الحكيم المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1 1981، ص 14.

[4] محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت 2010. ج1، ص19.

ومن هذه التعبير الوجيز الذي مهدت به هذا الفصـــل، تدخل العبارات والاصطلاحات والمفاهيم السائدة في زمن الخطاب، فيتناولها الصوفي ليعبر بها عن تجربته في محاولة تواصـــل مع الآخرين، ولكي تتم عملية التواصـــل مع الآخرين في وحدة صـــوفية تأســـس مقام الزاوية، لهذا فالزوايا لها صـــلة روحية تعمل من خلالها على ترسـيخ للمذهب الروحي، الذي يعتمد في شـكله الباطني على إثراء فرصة الإيماء العميق بالانقياد للوجود الإلهي، ومن جهة ثانية اعتبار الزاوية فضـــاء متكامل لتنشـــئة اجتماعية، فهي بذلك تمثل عمقا اجتماعيا في تشـكيلة الذات الإنسـانية، وعلاقة ذلك بالمضـمون الديني والروحي بغية الكشـف عن مختلف الدلالات التي تتضـــمنها الأصـــول النابعة منها، ومن الدلالات المطروحة هناك الدلالات اللســـانية واللغوية التي تؤول إلى معان ترتبط بالفعل في الاستعمال اللغوي، وحتى في مجال السلوك الديني[1].

[1] غرس الله عبد الحفيظ، الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية، مقاربة سوسيو تاريخية مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ المواقف، منشورات جامعة معسكر العدد 1، السنة 2007، ص17.

المبحث الأول: الزوايا بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي.

للزوايا دور مهم وكبير في المجتمعات الإسلامية، ولذلك بقيت مستمرة إلى هذا الوقت من الزمن، وأدّت مع هذا الزمن وظائف شتى: وظيفة تربوية تختص بتربية النفوس، وتربية صوفية تتجلى في الارتقاء بالرياضة الروحية، ووظيفة دينية تتمثل في إحياء الشعائر الدينية، كما لها وظيفة تعليمية تتعلق بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم علوم الشرع من فقه وأصول الفقه وعلوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث وحتى العلوم العقلية كالمنطق والفلك، وعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة الوطنية والغاية ترسيخ حب الانتماء للوطن والشعور به، وغيرها من الوظائف النبيلة التي دعت إليها الزوايا عبر تاريخ نشأتها.

والزاوية في كل ذلك سواء في التعليم أو في نقل الخبرة الروحية، أو في الدور في الوظائف التي تختص بها في تعويض السلوك السلبي بالإيجابي، تسعى أيضا من خلال ذلك في السيطرة الباطنية على النفس الإنسانية وتدريب المريد على إحياء الأذكار والأوراد والقيام بإحياء السماع والحضرة الصوفية بشكل منظم، ومن خلال ذلك يتم ترسيخ الرموز الصوفية في المواظبين على الارتداد عليها.

ومن خلال ذلك كله جاء اهتمام الباحثين بدراسة التصوف وأسراره والوقوف على بواطنه الروحية، ودعا الكثير منهم بضرورة الاهتمام بمسألة الزاوية باعتبارها عنصرا مكانيا فاعلا في إبراز المدلول التاريخي وما تمثله في

جوهرها من قيمة اجتماعية وتاريخية ودينية، وما تمثله من وجود إنســـاني عبر وجودها، وبخاصة في الدراسات الحديثة والمعاصرة.

أولا: الزاوية في الدلالة اللغوية.

فمن الجانب الخاص بالدلالة اللغوية كما جاء في المعاجم العربية أن معنى الزاوية مأخوذة من الجذر اللغوي (زوى)، ومنه إلى وزن زوي على وزن فعل، إلى أن تحولت الكلمة إلى الفعل (انزوى) على وزن انفعل، فقد جاء في القاموس المحيط: "زواه زيّا وزُويّا نحّاه فانزوى وسرّه عنه طواه، والشـيء جمعه وقبضه، والزاوية من البيت ركنه، جمع زوايا"[1]. أما صاحب لسان العرب يقول:

"الزيّ مصـدره زوى الشـيء يزويه زيّا وزُوِيّا، فانزوى نحاه فانتحى، وزواه قبضـه، وزويت الشـيء جمعته وقبضـته، وانزوى القوم بعضـهم إلى بعض إذا تدانوا وتضـاموا"[2]، وعليه تحولت اللفظة لتدل على دلالتين الدلالة الأولى العزلة والانعزال، لأن الزاوية هي مكان ينعزل فيه الإنســـان عن الآخرين فيميل إلى السـمو وعدم الاختلاط بالناس ويتفرد بنفسـه في ركن منعزل. ثم أخذت اللفظة المفهوم الهندسـي الذي يطلق في هذا العلم على زوايا المثلث أو المربع وسـائر الأشكال الهندسية التي تقوم على الخطوط المستقيمة باستثناء الدائرة التي ليس لها زوايا لعدم وجود الخطوط المســـتقيمة، هي عبارة عن مقدار المســـافة أو

[1] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، 1983، ج4، ص 340.

[2] ابن منظور لسان العرب دار صادر للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1997، ج3، ص217.

الانفراج المحصـور بين خطَّين مسـتقيمين مُتلاقيين مع بعضـهما البعض، حيث تُسمّى نقطة التقاء الخطَّين وتقاطعهما برأس الزاوية [1](انظر الشكل).

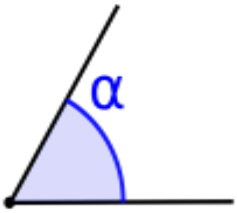

ومن هذا المقام انتقل شـكل الأرقام عند العرب من واحد 1 إلى تسـعة 9 بحســـب الزوايا فكل رقم يحســـب بعدد الزوايا، فالواحد زاوية، واثنين زاويتين وهكذا... أما الصفر 0 فهو دائري لخلوه من الزوايا، وقد قام الخوارزمي بتصميم تلك الأرقام على أســاس عدد الزوايا (الحادة أو القائمة) التي يضــمها كل رقم. فالرقم واحد يتضـــمن زاوية واحدة، ورقم اثنان يتضـــمن زاويتين، والرقم ثلاثة يتضــمن ثلاث زوايا – إلخ. أما الاختزاع العبقري الذي أضــافه المســلمون هو الرقم صفر الذي كان شكله دائرة ليس فيها أي زاوية (عدد الزوايا صفر)، (انظر الشكل).

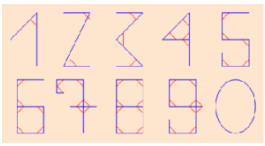

تم الانتقال من الشـكل الهندسـي للزاوية، الى شـكلها البنائي المتواجد في المنازل والمســاجد ليشــكل زاوية معمارية لها دلالتها في ضــم البيت أي ضــم جدرانه وتشـكيل اركان منزوية داخل البيت (انظر هذا الشـكل في الوسـط يشـكل الزاوية المنعزلة).

[1] محمد خالد حسين، حساب المثلثات المستوية، مطبعة المعارف مصر، ط4، ص 12.

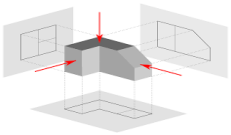

ثم أخيرا شـــكلت الزوايا المربعة مكان الانعزال والانطواء وشـــكلت الدائرة التحرر في دائرة الحضرة الإلهية (انظر الشكل).

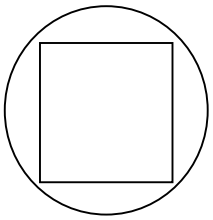

أما الزاوية في شـــكلها المربع الموضـــوعة للعبادة الروحية والقباب فوقها تمثل الدائرة أي الفراغ الدال على الحضرة ثم أن للقباب دلالات روحية عند أهل التصـوف في نظام بناءها ترمز إلى أن الإنسـان لا بد له من التخلي عن العالم الأرضـي والتوجه نحو العالم السـماوي، وهذا يوحي بتواضـع المتصـوف المؤمن وخضوعه لخالقه (انظر شكلها المعماري).

والدلالة الثانية في دنو الناس وانزوائهم إلى بعضهم البعض في الإخلاص والمحبة، وهذه الحال أطلقت على كل إنســـان اعتزل الناس وركن في زاوية، إذا فالزاوية منحوتة من الركن المتواجد غالبا في البيوت وهي عادة مكان ضـــيق يركن إليه الإنســـان للانزواء فيه والاعتزال قصـــد التقرب والتفرغ إلى الله بالتعبد

وبالتالي فالتصـوف انزواء. وتأكيدا لهذا المعنى جاء في المصـباح المنير على أن زاوية البيت اسم فاعل من ذلك لأنها جمعت قطرا منه[1].

أما الزاوية في شكلها المربع الموضوعة للعبادة الروحية والقباب فوقها في شكلها الدائري فإنها تمثل الدائرة، والمقصود بها ذلك الفراغ الدال على الحضرة ثم أن للقباب وهي دائرة بها فهي في رمزها الهندســـي فهي دلالات روحية عند أهل التصوف في نظام بناءها، فبهذا الشكل ترمز إلى أن الإنسان لا بد له من التخلي عن العالم الأرضـي السـفلي، والتوجه نحو العالم السـماوي العلوي، وهذا يوحي بالشـكل المتوازي مع الواقع الهندســي بتواضــع المتصــوف المؤمن، وببسـاطته وخضـوعه الدائم لخالقه (انظر شـكلها المعماري) فهو يدل على هذه الطبيعة الهندسية.

ثانيا: الدلالة الاصطلاحية.

أما في المفهوم الاصـــطلاحي، فالزاوية هي عبارة عن مكان معدّ للعبادة والارتقاء الروحي وتزكية النفس بالأوراد، وإيواء الواردين إليها واحتوائهم وتوفير المبيت والإطعام لهم[2]. ولكن ابتداء من القرن 6 هـ و12 م ظهر نوع جديد من الزوايا ارتبط بالطرق الصـــوفية، وكانت عمارتها تجمع بين هندســـة المســـجد والمنزل في الوقت نفســـه، فهي صـــغيرة الحجم قليلة النوافذ بســـيطة من حيث الزخرفة توحي غالبا بالبســـاطة والهدوء، وفيها غرف لتحفيظ القرآن، وأخرى

[1] انظر الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العصرية بيروت، ط1 1996، ص 136.

[2] محمد حجي، الزاوية الولائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط2،1988 ، ص 81.

لتدريس علوم الدين، وأخرى لإقامة الصـــلاة والذكر، وأخرى للإطعام، وغرف للنوم، وأخرى للزائرين والضيوف وهي غالبا ما تكون خارج محيط الزاوية[1].

لقد ساهمت الزوايا كما يقول أبو القاسم سعد الله في ازدهار الحياة الثقافية من حيث الاســـتعداد العلمي والتربوي[2]. وهي عبارة عن مجمع اتمن البيوت والمنازل مختلفة الأشـكال والأحجام تشـمل على مسـجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وهي مؤسـسـة يديرها رئيس لطريقة صـوفية يجتمع فيها المريدون لذكر الأوراد، كما خصـص تلل ذكر والعبادة والاعتكاف والتأمل والتفكر والرياضـة الروحية".

فالزوايا غالبا ما تضـم غرفا لإيواء الطلبة وأخرى للدراسـة، وتكون تحت إشـراف المقدم أو الوكيل، وأما بعض الزوايا فكانا لإشـراف عليها متوارثا في العائلة، يسـاعد خليفة المرابط الذي يتولى التعليم أو الإشـراف على مدرسـيها الوكيل وعدد من القائمين الخدمة عليها، كما توجد بهذه الزوايا مخازن للمؤن من أجل تمويل الطلبة والفقراء بما يحتاجونه لأجل الاســـتمرار في وظيفتهم الروحية والعلمية[3].

[1] عبد الكريم عزوق، زوايا ومدارس الجزائر، دراسة أثرية معمارية فنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 2014، ص13.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 269.

[3] رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات1671 1830 مذكرة لنيل شهادة لماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف د. فلة موسا ويالقشاعي، جامعة الجزائر، ص 55.

ومن أهم الزوايا بالجزائر الزاوية التجانية والعلوية والقادرية[1]، فالزاوية إذا تناولناها مثالا وجدناها من بين أهم الزوايا في الجزائر، فموقعها الأصلي بمدينة عين ماضي التابعة لمدينة الأغواط[2].

ويعتبر سيدي أحمد التجاني الذي ولد سنة 1150 هجرية من شيوخها الأوائل الذين استطاعوا إرساء معالم هذه الطريقة في الجزائر وخارجها، فقد حفظ القرآن الكريم واشتغل بطلب علوم الشرع واللغة والتفسير، ثم اهتم بالإفتاء والتدريس بمسقط رأسه عين ماضي، ثم انتقل إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، والتي دخلها في السادس من ربيع ال ثاني1213 للهجرة، يرافقه خليفته سيدي علي حرازم برادة، وقد ألف بهذا الشأن تأليفا يسرد فيه جميع ما تعلق بالشيخ واستوطن وأقام بها زاويته، ثم باشر في نشر الطريقة والإذن في الأوراد. وبقي بها حتى وفاته 1230 هجري الموفق 1815ميلادي ودفن بها.[3]وتظل الكثير من قواعدهم الصوفية مسجلة في العديد من المصادر كما هو ظاهر من مقدمة كتاب بغية المستفيد[4].

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، ط1 2002، ص 175.

[2] تتواجد الطريقة التيجانية بالمغرب والسودان. ينظر أحمد الأزمي: الطريقة التيجانية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص29.

[3]سيدي على حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، المكتبة التوفيقية ط1 2013، ص 24.

[4]الشيخ محمد العربي العمري التجاني، بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1973، ص5.

المبحث الثاني: الزاوية والتراث التاريخي.

أتطرق في هذا البحث عن الركائز الأساسية التي تعتمدها الزاوية من الجانب المادي الروحي الذي يشكل بنيتها ومهامها والوسائل التي تعتمدها، فمن ركائزها الأولى بنيتها وهو الرباط أو الركن الذي تعتمد عليه فإن شيوخ الطريق الصوفية جعلوا من الزوايا مبدأ للتوحيد المقدس وهي الإسلام، وإن الإسلام في صفته الروحية هو التذكير الدائم للحقائق الأبدية، التي جاء بها الدين ودافع عنها كل الأنبياء عليهم السلام.

إن هذا المفهوم يُبعد الزاوية عن الجانب المادي، فلها بذلك سلما انضباطيا يسمح لها بالتطور ويدعم نشاطاتها من أجل حب البشرية، وتعزيز التربية الدينية في شتى مجالاتها[1].

ففي البلاد المغاربية بدأت الثقافة الإسلامية تأخذ طريقها ي دولة الأغالبة ودولة الأدارسة، فانتعشت الثقافة في عصريهما وكان القرآن الكريم هو محور كل حركة فكرية، كما امتد رواق الحياة الإسلامية على حياة الأمة في بلاد المغرب الأوسط في عصر الدولة الرستمية، وأيضا جمهرة العلماء الذين ظهروا في العهد الفاطمي والصنهاجي ووصولا إلى العصر الحمادي ببجاية، وبروز علماء في شتى العلوم النقلية والعقلية والروحية[2]، وكل ذلك نشأ في أحضان

---

[1] نجيب بن خيرة، الزوايا في الجزائر...وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المجلد 2 العدد 16، ص155.

[2] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1968 ص 6،50، ص 155.

زوايا العلم والقرآن، لتأتي مرحلة الدولة العثمانية التي ظل الاهتمام بالثقافة الإسلامية قائما بناء المساجد والزوايا وإعمارها، وازدهر التصوف السني القائم على الشريعة والعقيدة الصحيحة[1].

أما ما تعلق بالوسائل فإن الزاوية تعتمدها كجزء من تركيبتها الخاصة، وهذه الوسائل تشكل قوة تعتمدها، فهي تؤسس وجودها على الفكر القائم على التصرف والاستقامة، وهذا دأب الشيخ والمقدم وبقية المريدين، لأن هذه العناصر مجتمعة تشكل الجانب المؤسساتي للزاوية، كما تتمتع بالاستقلالية الاقتصادية، وتمارس عملها بكل ثقة وحرية في جانبها المادي، فبحكمها بناية دينية وأساس هذه البناية المسجد باعتباره مكان للصلاة والعبادة، وبحطمها أيضا تشكل مدرسة قرآنية وبنايات أخرى خاصة بها لتلقين العلم الشرعي، وبناية أخرى خاصة بترتيل الأوراد وترديد السماع الصوفي، وهذا كله كما سبق الذكر وفق المذهب السني المالكي والعقيدة الأشعرية، ويندرج كل ذلك كله في إطار التكوين الإجباري للطلبة، حيث تبدأ الزاوية في تخصيص معلمين في تدريب الطلبة وتدريسهم لتحفيظ القرآن الكريم أولا ثم يكون ذلك متبوعا بالدرجة الثانية بعلوم الدين التفسير والفقه والحديث، وقواعد اللغة للاستعانة بفهم معاني القرآن.

[1] نجيب بن خيرة، الزوايا في الجزائر...وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المجلد 2 العدد 16، ص59.

إضافة إلى ذلك تسعى الزاوية لتعليم الطلبة الأناشيد الدينية، أو ما يسمى بـ (السماع)[1]، ويكون ذلك عن طريق الحفظ والترديد الشفهي بالمخارج الصحيحة وحركات الوزن والإيقاع، كل هذا يأتي لتدعيم تكوينهم الصوفي الصحيح، ويبقى هذا الجانب الروحي هو العنصر الأساسي الذي تقوم عليه الزاوية، فيسعى كل من الشيخ والمريد إلى تأسيس العنصر الحيوي لمعرفة الزاوية، والركائز التي تقوم عليها، وذلك عن طريق البحث عن الحقيقة المطلقة من أجل بلوغ الهدف المنشود والوصول إلى الرقي الروحي في ظل التراكمات المادية، معتمدين في كل هذا على المحبة الصادقة، والورع والتقوى ومخافة الله وخشيته والتفاني في حضرة الشهود والوجود.

أولا: الجانب الأنثروبولوجي.

مما يشد له الانتباه تلك الدراسات الغربية والاستشراقية بالخصوص التي ركزت على هذا الجانب، ومن أبرز ذلك ما قام به المستشرق (إدموند دوتي) الذي يذكر في أحد أبحاثه أن زيارة الأولياء والتبرك بالصلحاء ظاهرة رسخت في شمال إفريقيا عموما والمغرب بالخصوص، ويرى أن هذه الظاهرة تحتاج إلى قراءة واستئناف جديد، وهذه الظاهرة يرى فيها فكرة الوسيط في التقرب إلى الله، وفي دراسته هذه يحاول الكاتب طرح إشكالية الصلحاء والأولياء والإحاطة بها وبدورها الديني والسياسي والثقافي، وخاصة في المتخيل الجمعي الذي مصدره

[1] ينظر ابن تيمية، حكم السماع، تحقيق حماد سلامة مكتبة المنار الأردن ط1 1988، ص45. وينظر ابن القيم، الكلام على مسألة السماع، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، السعودية، ص67.

التصــوف فهي في نظره ظاهر مجتمعية، ويتحدث كمثال على ذلك على العديد من أمثال ذلك الذين يحظون بالتقديس الديني[1].

[1] إدموند دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق الدار البيضاء 2014 المغرب، ص 20.

ثانيا: الإطار الاجتماعي والإنساني للزوايا.

ثم إن الزاوية هي مؤسسة اجتماعية تقوم على مساعدة المحتاجين واستقبال عابري السبيل، وتقديم الخدمات الجليلة لهم إحياء للترابط الاجتماعي والإنساني، ويكون هذا على أساس مبدأ أداء النشاطات الاجتماعية والتضامن، ومبدأ أن يسخر المريدون وشيخهم أنفسهم لأعمال الخير والصلات والفضائل، وإسعاف الناس ورعايتهم والسعي للبحث عن العمل للمجموعات المحتاجة إلى ذلك. فالمساعدة الاجتماعية تشمل الجانب المادي التي يصلها عن طريق المساعدات من هبات وعطايا إلى جانب ما يصلها من مدد عن طريق الحبوس، فيعتبر هذان الجانبان رأس مال الزاوية، والذي يكون مصدرا من مصادرها المادية، كما للزاوية مساعدة معنوية تتجلى في الدور الذي تقوم به في فض النزاعات والصراعات الفردية والجماعية، وفي السعي الحثيث في المحاولات الجادة في وجود فضاء للمصالحة على أساس ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما الجانب الروحي فهو العملة الرئيسية فيما يتمتع به الشيخ الروحي من نظام خاص، فهو يتدخل عبر سماعة ونقاشه للآخرين معينا إياهم على تحقيق الثقة في نفوسهم وإشعارهم بضرورة اللجوء إلى الله بالذكر والخلوة، وبالتالي فإن الزوايا قامت على هذه الأسس الاجتماعية والإنسانية والروحية وقامت بدور هام من خلال كفاءتها على في ضمان وظيفتها المادية والمعنوية الشرعية، كما تكفلت في خلق فضاء للأخوة بعيدا عن المشاحنات وترسيخ فكرة السلم الاجتماعي والوحدة الإنسانية.

ثالثا: الزاوية صلة روحية داخليا وخارجيا.

تأخذ الزاوية نمطين من التجربة في بنائها وإقامتها فهي بناء روحي يتجسد في كينونة الصوفي وفي تفاعله مع الآخرين في تجربة صوفية آخري، فالتجربة الصوفية عادة هي منبع للمواجيد والأحوال.

وللزاوية المكان الذي يجد فيه الصـــوفي راحته ومحلّا لمواجيده وأحواله فلها من هذه الأوصال التسبيح والأوراد والخلوة والمشاهدة والحضرة[1]، لهذا نجد تسبيح الصوفي مضاف إلى كل شيء: "يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد "مضاف إلى الملائكة ويضاف في القرآن الكريم إلى الليل وإلى الرعد وإلى الإنســـان[2]، فهو كما في التعريفات للجرجاني تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث"[3]. والتســـبيح عند ابن عربي جنس من العبادة حيث يقول يقطع ابن عبد الله المرابط تسبيحا وقرآنا[4].

ثم إن الحقول المعرفية والعلمية والثقافية بجميع أصولها وفروعها أصبحت تعرف اهتمامات واسعة بدراسة المعالم الدينية والرموز الثقافية وخاصة الكتاتيب، والزوايا لما لها من أهمية كبرى في تكوين القيم وتفعيلها داخل المحيط الاجتماعي.

---

[1] عبد الرزاق الكاشاني اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق عبد العال شاهين دار المنار القاهرة ط 1 1992، ص 67.

[2] عبد الرزاق الكاشاني، المصدر نفسه، ص 70.

[3] الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص57.

[4] محي الدين بن عربي الفتوحات المكية، ج1، ص 53.

ولما كانت الزوايا إحدى الركائز المخصصة في إنشاء القيم الروحية والسمو بالسلوك الصوفي إلى أرقى مستوياته، فكان لزاما علينا أن نركز اهتمامنا على توزيع هذه الزوايا جغرافيا داخل الوطن المتماسك تاريخيا وثقافيا وعقائديا، باعتبارها وسيلة مهمة في الحفاظ على أواصر الوعي الجمعي للمجتمع الواحد من جهة، ومن جهة أخرى الرفع من مستوى الوعي في ترسيخ الهوية الدينية والوطنية، وعليه فإن الوعي بأهميتها وانتشارها ومعرفة دورها يؤدي بنا إلى التفكير في إنشاء معجم اصطلاحي للزوايا. دراسة القضايا المتعلقة بالزوايا تعتبر من الشواهد الحقيقية على قيمة الموروث اللغوي الذي ينتمي إلى الذاكرة الجماعية، بحيث سيكون خزانها التراثي الذي لا ينفذ.

إن الشيء الذي شدني إلى هذا النمط من البحوث هي الدوافع الموضوعية لمعرفة أبعاد الزوايا وما توحي به من اتساع دلالي، التي نذكر من بينها الدراسات البينية التي تعد من الدراسات الحديثة التي تجمع بين موضوعين وأكثر ، وذلك لإبراز الجوانب الدالة على حداثة مواضيعها، والحرص للتعرف على معارف جديدة، والتواصل إلى الحقيقة المعرفية القائمة على الاستدلال، أو التوصل إلى القاعدة التي تستند على البعد المعرفي، والتي نسعى إلى التوصل إليها حتى نستطيع فتح أفاق علمية جديدة تتعلق بدراسة موضوعية شاملة للبعد الاجتماعي والتاريخي والثقافي للزوايا وفق المناهج العلمية الحديثة.

المبحث الثالث: الزوايا ومنابر التأسيس الصوفي في الجزائر.

تاريخ الجزائر مليء بالأحداث على مر العصـــور والأيام، تلك الأحداث التي ارتبطت بشعبها عبر الأجيال، ويشير المؤرخون والباحثون إلى ذلك فيقول يحي بوعزيز:" لكأن شـــعب الجزائر لم يخلق إلا للكفاح والجهاد، ولكأن أرض الجزائر العربية لم توجد إلا لتحتدم على أديمها معارك الفداء والكرامة والشرف"[1]، وبالرغم هذه الظروف القاهرة التي عاشــتها الجزائر عبر مراحلها التاريخية ظلت متمســكة بقيمها الإســلامية وانتمائها الروحي، فقد عرفت الجزائر برغم كل ذلك منابر روحية في تجسيد صورة مثالية للتصوف الإسلامي ويظهر ذلك في على سبيل المثال في مدن عديدة من القطر، ففي مدينة الجزائر تتربع زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية الولي داده، وزاوية عبد القادر الجيلاني، وهناك قائمة طويلة أخرى نذكر منها زاوية سيدي محمد الشريف، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري، وســـيدي الجودي، وســـيدي جمعة، وســـيدي الكتاني وفي مدينة قسنطينة ونواحيها.

والقائمة طويلة حتى أنها بلغت حسب بعض الإحصاءات ست عشرة زاوية في قسنطينة وحدها، وهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي وغيرها، كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصـــة مثل زاوية أولاد الفكون مثلا.

[1] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2009، ص3.

وكانت هناك زوايا خاصة بالأتراك والكراغلة، مثل زاوية رضوان خوجة، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي. وقد اشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها وأضرحتها ومشاهدها نذكر منها زاوية سيدي الطيب، وزاوية سيدي بومدين شعيب، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، وضريح سيدي الحلوي الأندلسي. كما تعتبر منطقة القبائل من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية، نذكر منها زاوية تيزي راشد، وزاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية، وزاوية الأزهري بآيت إسماعيل، وزاوية ابن على الشريف بآقبو، وكذلك سيدي منصور بآيت جناد وغيرها. وهي كلها زويا اشتهرت بنشر التعليم وتخريج أجيال من المتعلمين.فهذه الزوايا التي عرفت الجزائر عددا كبيرا منها قد انتشرت انتشارا واضحا، سواء في الأرياف أو في المدن، وعمت كل جهات الوطن تقريبا.

كما انتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا، خصوصا بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية. وربما أقدم زاوية بالجزائر أشارت إليها المصادر ـــ رباط بونة، وهو المعروف برباط مروان البوني، أسسه أبو عبد الملك، الأندلسي الأصل، في مدينة عنابة وكان من الفقهاء الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وهو دفين مدينة عنابة وقبره من أشهر المزارات بالشرق الجزائري. أدت دورها على أكمل وجه وأحسن صورة.

وأيضا زاوية عبد السلام التونسي في تلمسان: أسسها الشيخ أبو محمد عبد السلام التونسي، من صوفية المغرب العربي، وكانت وفاته بتلمسان عام 589هـ= 1193م، ودفن بالعباد وهو الذي دفن الشيخ أبو مدين بجواره في

روضــته فيما بعد. كانت زاويته تقوم بوظيفتين أســاســيتين هما الانقطاع للتعبد والاجتماع مع الطلبة، وكان الشيخ عبد السلام التونسي يلقنهم مبادئ التصوف وعلوم أخرى. من الذين تخرجوا منها الشيخ محمد بن محمد الهواري الأبرش.

ومنها أيضا زاوية أبي زكريا الزواوي، أسسها الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو زكريا يحي بن أبي علي المشـــتهر بالزواوي المتوفي في القرن الســـابع الهجري، من مدينة بجاية، أســسـها بعد عودته من المشـرق، وجلس بها لنشـر العلم وبثه والدعوة إلى الله، فانتفع الخلق على يديه، وكان يدرس بها أيضا علوم الحديث وعلوم الفقه والتصوف، كما تولى التدريس بها الشيخ الولي الصالح أبي مدين الغوث. (ت 561–هـ)، الذي يعتبر أحد المؤسسين لواحدة من أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب وهو دفين تلمسان حيث يوجد ضريحه.

وتتشــكل هذه الأبعاد في الكثير من الدراســات القائمة على جرد الحقائق التي تحيط بالجزائر وتاريخها الحضاري والسياسي والثقافي ـ فالمهدي البوعبدلي مثلا أحد المهتمين بالجزائر وتاريخها وأحداثها له اهتمامات عديدة في مقالات كثيرة منشورة وبخاصة في مجلة الأصالة، كما له إشارة عن كثير من حواضر الجزائر في كتابه تاريخ المدن حيث يشـــير إلى ما أورده الرحالة عبد الرحمن الجامعي مشـــيرا إلى مدينة الجزائر حين زارها عام 1120 هـ، حيث قال: "هذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، فمســـاجدهم

بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراء مشحونة ومشهورة"[1]. فالحياة الروحية في المعمورة كلها كانت متممة للرقي الحضاري المادي.

ويضيف البوعبدلي من أن أفرادها كانوا يتسابقون إلى تحبيس الدور والحمامات والمزارع والمساجد ومعاهد العلم وكان ذلك كله من ربع الأحباس[2]، وقد خصص فصولا في كتابه يتحدث بإسهاب عن الكثير من حواضر الجزائر وخص قسنطينة وبونة وحاضرة توات وتمنراست وتيهرت وغليزان بأبحاث حول تاريخها السياسي والحضاري والتاريخي والصوفي.

وإلى نفس المنهج أشار أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، متحدثا في مقدمة كتابه عن الدوافع والأسباب[3].

ومنها أيضا زاوية ابن البجائي: عبد الكريم بن عبد الملك القلعي البجائي (توفي بداية القرن السابع الهجري)، من أهل قلعة بني حماد، وتقع زاويته داخل باب أمسيون من أعلى سند بجاية، وهو الموقف لأوقافها الكثيرة المعروفة.

وزاوية ملارة بقسنطينة أيضا أسسها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي القرن السابع الهجري . والد جد ابن قنفذ لأمه . تقع على بعد مرحلتين إلى الغرب من قسنطينة. نشرت التصوف بمنطقة قسنطينة.

---

[1] المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2012، ص 60.

[2] المهدي البوعبدلي، المصدر نفسه، ص 60.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ح3، ص 78.

وزاوية الشيخ أبي حجلة بتلمسان: أسسها الشيخ ابن حجلة التلمساني، كان معروفا بالصلاح والتقوى والزهد والتصوف، جاء ذكرها عند ابن حجر في ترجمته لابن أبي حجلة":ولد بزاوية جده بتلمسان سنة القرن السابع الهجري.

وزاوية سيدي الحلوي بتلمسان التي ذكرناها التي تأسست في القرن الثامن الهجري فهي من أشهر مزارات مدينة تلمسان، تقع خارج سور المدينة من ناحية الشمال، شيدها السلطان المريني أبي عنان، على ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي الحلوي، اندثرت لم يبق منها إلا المسجد الجامع، وهو يشبه كثيرا في نمط بنائه مسجد الشيخ أبي مدين الغوث بالعباد. ذكرها ابن مريم في كتابه البستان على أنها مقر للصالحين وملتقى للأولياء والعلماء.

وكذا زاوية الحسن بن أبي القاسم بن باديس القرن الثامن الهجري أسسها الشيخ حسن بن أبي القاسم بن باديس وأسرة ابن باديس من أكبر الأسر العلمية والدينية بقسنطينة الذي كان من مشائخ الطريقة القادرية التي أخذها عن شيخه صلاح الدين العلائي ببيت المقدس وعرفت شهرة كبيرة، توفي الشيخ بن باديس سنة 787هـ ودفن بزاويته.

ومنها أيضا زاوية إبراهيم بن فايد البوسحاقي القرن الثامن الهجري أسسها الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن فايد الزواوي الذي كان من مشائخ الطريقة القادرية التي أخذها عن شيخه علي المنجلاتي في بجاية. عرفت شهرة كبيرة في منطقة القبائل، توفي الشيخ سيدي بوسحاقي سنة 857هـ ودفن بزاويته، والملاحظ أن هذه الزوايا كلها نهجت نهجا صوفيا طرقيا في كل مراحلها وأنها جميعا كلها كانت قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر.

أولا: الزاوية وآفاقها في مناطق الغرب الجزائري.

تحدث الكثير من الباحثين عن هذا الجانب المهم في تاريخ الزاوية وآفاقها ومن ضمنهم عبد القادر ياسين فهو يرى أن هذا الجانب تملكه المعطيات القديمة التي تستند عليها النشأة الأولى للزاوية وهي دائما عبارة عن الحدث الأصلي حول مضامين الزوايا للعمل المسطر لها بخصوص مكوناتها البشرية وعلاقتها بالمجتمع والتي تستطيع فتح طرق جديدة من جانب الوقاية من كل أشكال العنف وفتح مجال التسامح والسلام[1]، ويبدو ذلك واضحا من خلال المؤتمرات والندوات وبعض اللقاءات التشاورية في فتح مجال للحوار السياسي القائم على الوفاق الحضاري، تحت راية الدين والبعد الثقافي ومن جانب المصالحة أيضا مع الذات في تأسيس مجتمع تشاركي يتعامل مع الآخر وفق مبادئ الدين القائم على السلام الحقيقي ولكل تطور متوازن ودائم. لأن المجتمع ألتشاركي بحاجة إلى معطيات جديدة ودائمة والتي من أجلها أقيم الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية الذي ساهم في تفعيل الزوايا وجمع صفوفها وتسطير القواعد والأفاق التي تسير وفقها والمبادئ التي تقوم عليها مع المتابعة الميدانية باهتمام للدور الأساسي لها وعلاقتها بمحيط الاجتماعي وعلاقتها بالمؤسسات الدينية الأخرى المساجد والجوامع والكتاتيب والجمعيات الدينية، وعلاقتها بالمؤسسات التربوية التعليمية الأخرى وإظهار الوجه الحقيقي لها وإقصاء كل ما ألصق بها من شعوذة وخرافات.

[1] عبد القادر ياسين، القوة الفاعلة الزوايا والمجتمع، دار الحكمة للنشر والترجمة، ص 89.

ثانيا: زوايا الغرب الجزائري والاستعمار الفرنسي.

لقد زخرت الجزائر عموما كما أســـلفنا ذلك بالزوايا والمدارس منها زاوية ســيدي صــدوق بالقبائل وزاوية عبد الرحمن باش تارزي في قســنطينة، والزاوية العثمانية بطولقة بسـكرة، وزاوية الهامل في بوسـعادة، ولقد وقفت هذه الزوايا في وجه الاسـتعمار وجدارا منيعا في وجه التبشـير والتنصـير والتجنيس والتفرنس، وتصـــدت للغزو الفكري والعقدي والثقافي، والمحافظة على اللغة العربية والهوية الإسـلامية[1]، ولقد كان صـراع مرير بين المحتل الفرنسـي وهذه المدارس والزوايا القائمة بالرغم من أن فرنسـا أنشـأت مدارس عربية فرنسـية ومعظمها تهدمت في كثير من الانتفاضات.

لقد اكتشـف الفرنسـيون من أن وجود الزاوية يمثل مركزا أسـاسـيا للمقاومة والتصـدي الحقيقي لكل الاتجاهات الفكرية التي يعتمدونها فهي تشـكل المقاومة النفسـية القائمة على تحرر الفكر وحماية التقاليد خاصـة مع بداية القرن التاسـع عشـر، ثم إن هذه الزوايا بدأت تنشـر التصـوف السـني.ومختلف طرق وأسـاليب التربية الصـــوفية.كما أصـــبحت مكانا فســـيحا لتدريس العلوم النقلية والعقلية، فدعمت بذلك المسـجد في بعض وظائفه، ونشـرت التعليم لدى الكثير من شـرائح المجتمع، مادام مصـــطلح المدرســـة لم يظهر في هذه الفترة من تاريخ الجزائر وأنها تشـــكل أيضـــا مركزا ثوريا ضـــد المحتل الأجنبي، في تكافل الجهود وفي التوعية المستمرة، وجمع المال وإعداد الرجال.

[1] نجيب بن خيرة " الزوايا في الجزائر وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد 2 العدد 16، ماي 2001. من 157 إلى 171، ص 162.

أما على الصعيد الاجتماعي والسياسي فقد نمت وتطورت أهميتها لدى العامة فأصبحت قبلة للناس لطرح مشاكلهم وانشغالاتهم، ومكانا يلجئون إليه وقت النوائب، وقد أدرك الجزائريون من حملة الوعي والجهاد أهميتها وقدسيتها لدى العامة، فبادرت إلى تأسيس الزوايا، والسهر على إنجاح دورها الديني والتعليمي، التماسا لإرضاء الرعية وتنشيطا للحياة الثقافية والدينية وإعطاء القدرة على الوعي النفسي والاجتماعي الذي يتوخاه المجتمع ويسعى للانتماء إليه.

ثالثا: زّوايا الغرب الجزائري والحركة الوطنية.

إن إيمان الزّوايا كان راسخا في الحفاظ على الوحدة الوطنية فكان، لها كذلك الدّور البارز وبأمانة والهام في الحركة الوطنية من منطلق الإيمان بالحرية والتمكين لدين الله تعالى من الرسوخ والاستقرار وقد تحدث عن ذلك أبو القاسم سعد الله وصلاح الدين سعيدوني[1]، ويعتبر هذا من أسمى الرؤي عند شيوخ الزّوايا، ومن التفّ حولهم وفي حضرتهم.

بعد الاحتلال لفرنسي للجزائر سنة 1830م احتفظت الطّرق الصّوفية السّنّيّة بمنزلتها ووجودها أمام الجزائريين وأصبح الصوفية ورجال الطّرق الصّوفية وشيوخ الزوايا الملجأ الآمن لقيادة الجماهير الشّعبية واللجوء إليها باعتبارها مركزا للدّفاع عن الهوية والوجود التاريخي، أمام أكبر احتلال غربي يسعى للقضاء على كلّ القيم الروحية والانتماء الحضاري والتاريخي." ويقول

[1] ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر ط 1 2015، ص 289، وينظر ناصر الدين سعيدوني تاريخ الجزائر العثماني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط2 1981، ج1، ص66.

سـعد الله: "كانت الطّرق الصّـوفية السّـنّية هي المؤسّـسـة الوحيدة التي بقيت متواجدة بعد انهيار المؤسّسات الرّسمية أمام ضربات الاستعمار الفرنسي. وقد ظلّت قائمة خصوصا في الأرياف تؤدّي دورها الدّيني والتّعليمي والعسكري"[1].

ويذكر سعد الله في هذا السياق دور الكثير من الزوايا والطرق الصوفية وفروعها في هذا المجال ومنها الزّاوية الرّحمانية والقادرية، والشّيخية والسّنوسية والطّيبية والتي يرى أنها التحمت مع الشّعب الجزائري أثناء مواجهة الاستعمار، فقد كان الشّعب يعتبر شيوخ التصوف رجال دين أصفياء وأتقياء لهم جانب كبير من الورع والتقى وهمّهم خدمة الإسلام والدفاع عنه. "كان الجزائريّون يدركون أن جهاد الكّفّار من أعظم القّربات إلى الله تعالى وكان كثير من زعماء المقاومات يدعو إلى الجهاد في بإعلانه وكانوا يصرحون أن هذا في سبيل الله على سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأن هذا الجهاد ضدّ الكفّار الفاسقين الظالمين، ممن أهانوا الدين وأحلّوا ما حرّم الله، وهذا هو التجلي الذي اعتمد عليه الأسلوب القائم على إدراك الأهمية التي تطمح إليها الزاوية قبل وجودها في الواقع. وهذا ما تحدث عنه العديد من الباحثين كما تحدث محمد كمال إبراهيم جعفر حيث يتحدث عن التصـــوف والدين من الوجهة التاريخية أن المتصـــوفين كانوا أبناء مخلصين للديانة التي نشأوا فيها، وفي غالب الأحيان لم يشعروا بتناقض عملي بين موقفهم وبين دينهم، بل اســتعانوا ببعض العقائد الدينية في شــرح تجاربهم

[1] ينظر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ص309.

وآدابهم[1]. وهذا كان عاملا مســـاعدا في قيامهم بواجبهم من أجل الحفاظ عن التاريخ والهوية الوطنية والقيم الدينية.

[1]محمد كمال إبراهيم جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار الكتب الجامعية ،1970، ص 43.

المبحث الرابع: التشكيل المكاني الطوبونيمي لمواقع زوايا الغرب الجزائري.

ذكرنا قبل هذا أن الزاوية عند الصوفية ومعاشر المتصوفين والقائمين على عمارتها هي موضع مخصص للعبادة وإطعام القاصدين إليها وإيوائهم وإنزال السكينة والراحة عليهم وإشعارهم بالطمأنينة، وتعتبر أيضا مدرسة دينية وروحية ومكانا وكثيرا ما يتداخل مدلول اصطلاح ومضمون "الزاوية" عند المشارقة مع اصطلاح" الرباط وهذا للتقاطع والتداخل بين المصطلحين وفيما يعنيه الرباط والزاوية في التداخل الحاصل في أدوارهما. الجهادية والتعبدية.

وبلسان المغرب الإسلامي وغرب أفريقيا، فالزاوية مدرسة قرآنية ذات مساحة معتبرة وفناء اوسع تتوسطه نافورة ماء وحوض مائي غالبا وكانت هذه المدارس هي أحد أهم سبل تلقين طلبة العلم القرآن وعلوم الشريعة كالفقه والتفسير والحديث والعقيدة، وبعض العلوم الأدبية النحو والصرف والبلاغة وبعض علوم الآلة كالمنطق وقد انتشرت في المغرب العربي وارتبط. التعليم فيها بطريقة الأخذ عن الشيخ وترتبط هذه العلوم كلها بالأخلاق والآداب المستمد من التصوف الإسلامي، فالكثير من الأحيان.

انتشرت الزوايا في المغرب العربي الإسلامي مع بداية القرن الخامس الهجري، وسميت في بداية نشأتها بـ "دار الكرامة" ومن أمثلة ذلك الدار التي بناها يعقوب المنصور سلطان الدولة الموحدية في مراكش، فالزاوية والرباط هما موضعان خاصان بالسادة الصوفية تأهباً للجهاد وصد هجمات الكفار وأعداء الإسلام، والمذاكرة في أصول الطريق والسنة النبوية الشريفة، ويتضح من خلال

هذا التعريف الاصـــطلاحي أن الزاوية هي مؤســـســـة علمية تعمل على جلب المريدين بالأوراد والذكر، وأن وظيفتها لم تقتصـر على التربية الروحية الصـوفية بل ســـاهمت في المجال الاجتماعي الواســـع إذ نجد لها وظائف وأدوار مهمة داخل المجتمع. كما سميت أيضا بالرباط المهيئة للدفاع عن ثغور الاحتلال من الغزو.

وأكثر الدراسات تتناول بالبحث العميق البدايات الأولى في تأسيس الزوايا فوجدوا أن من أقدمها في المغرب العربي زوايا الشـــيخ أبي محمد صـــالح دفين آسـفي (ت.631 هـــ / 1234م)، هذه الزوايا التي تعددت وانتشـرت مثيلاتها التابعة لها بين المغرب ومصـــر لإيواء عابري الســـبيل ومن أتباع الشـــيخ أبي صـالح أثناء سـفرهم للحج، وهذا تشـجيعا على زيارة بيت الله الحرام. وقد اعتنى ملوك المغرب من المرنيين خاصة بإنشاء الزوايا، وأطلقوا عليها "دار الضيوف".

وقد عرفت الزوايا بين الموحدين والمربين انتعاشـــا وتطورا كبيرين في المدلول والوظائف إلى غاية القرن العاشر الهجري، حيث شـهد هذا القرن امتداد أطماع النصـارى إلى الثغور المغرب الإســلامي خاصــة بعد ســقوط الأندلس، فنهضـت هذه الزوايا بهذا الدور العظيم في صـد الامتداد الصـليبي لتصـبح رقما أسـاسيا في المعادلة السياسية بالبلاد، لها صـلة بالشؤون السياسية في دعوتها للمقاومة والجهاد لتتحول إلى صـرح ثقافي قوي نافس الكثير من المنارات العلمية والمعرفية.

وبهذا فإن الزوايا في الجزائر كانت من بين المنظمات الدينية الرئيسة، فهي تتواجد بقوة داخل الذاكرة الاجتماعية بالنظر إلى منزلتها التاريخية وارتباطها بوظيفتها الروحية والفكرية والتربوية والتكوينية والاجتماعية.

ومن ثم يمكن اعتبارها مدرسة أو مؤسسة قائمة بذاتها يسيّرها شيخ صوفي له سمعته ومركزه وداخلها مجموعة من المريدين ينهجون نهج شيخهم، ويتبعون طريقته وهؤلاء التلاميذ يستمرون على ذلك ويتمسكون بالأوراد والأذكار ولا يحيدون أبدا عن النهج الذين رسم لهم.

أولا: التواجد المكاني الطوبونيمي لزوايا الغرب الجزائري.

منطقة الغرب الجزائري الذي تمتد مساحته حوالي 63050 كم^2، وهذه المنطقة وهي من الساحل إلى الهضاب تضم تسع مدن، وهي وهران ومستغانم وعين تموشنت وغليزان وتيارت وتلمسان وسعيدة وسيدي بلعباس ومعسكر، يحد منطقة الغرب الجزائري من الشمال البحر الأبيض المتوسط، على طول شريط ساحلي حوالي 200كلم تقريبا، ومن الغرب الحدود مع المغرب الأقصى، ومن الشرق شلف عين الدفلة وتيسمسيلت، ومن الجنوب كل من البيض والنعامة ومن الجنوب الشرقي الأغواط والجلفة، ويسمى هذا الامتداد الجغرافي بالقطاع الوهراني، وهي منطقة اجتماعية–ثقافية كما ذكرنا تقع غرب الجزائروهذه المنطقة جغرافيا وتاريخيا تمثل جزءا من التراث الثقافي والطبيعي الجزائري وتتسع على. حيث يتكلم ساكنو المنطقة لهجة عربية جزائرية يعرفون به، وكانت هذه المنطقة تمثل الجزء الغربي من التلال جزائري وقد كان في القديم فضاء للكثير من

القبائل الجزائرية البدوية والأمازيغية. لأن اغلب سكان هذه المنطقة ينتمون لقبيلة بني هلال. وكان يطلق قديما من مدينة مستغانم حتى حدود ارزيو بلاد مجاهر وهي قبيلة بني سويد من بني هلال، وبلاد هبرة تطلق من حدود ارزيو الى حدود معسكر كلها تسمى بلاد هبرة نسبة لقبيلة هبرة من بني سويد من بني هلال أيضا وبلاد بني شقران وهي تشمل حاليا شرق سيق (معسكر) وأطلقت على الجبال المحيطة بهم، وهي نسبة لقبيلة شقران من بني هلال، أما بلاد بني عامر فهي تشمل مساحات كبيرة من مدينة وهران حتى لحدود تلمسان الى شمال سيدي بلعباس وسميت نسبة لبني عامر من بني هلال كذلك، أما بلاد الحشم فهي تشمل كل منطقة غريس بمعسكر وصولا إلى مشارف مدينة وهران أما بلاد حميان فهي تشمل مناطق كثيرة من ارزيو الى وهران ومن جنوب وهران الى حدود المناطق الصحراوية ومن جنوب تلمسان إلى جنوب بلعباس وكل الحدود الجنوبية وسميت حميان نسبة لقبيلة حميان من بني هلال.

أما بلاد فليتة فهي تشمل كل معظم منطقة غليزان وسميت بهذا الاسم نسبة لفليتة بن سويد من بني هلال، أما بلاد بني وراغ فتشمل كل مرتفعات الجنوبية لغليزان المحاذية لعمي موسى، أما تلمسان مع تداخل بلاد حميان فتسمى بلاد اولاد نهار، وسميت بهذا الاسم نسبة لشرفاء اولاد نهار .واليعقوبية فهي تشمل كل مناطق سعيدة وسميت بذلك نسبة لقبيلة بني يعقوب بن هلال.

هناك عدة كتاب استعملوا هذه التسميات عوض الأسماء التاريخية للمدن وذلك بعد أن أصبح السكان يستعملونها بدل التسميات القديمة ولكن اندثرت تقريبا هذه التسميات ونوضح امتداد هذه المنطقة بما هو في هذه الخريطة.

ثم إن العلاقة بين هذه المدن تكاد تكون متصلة فيما بينها اتصالا جغرافيا ذات تربة موحدة وخطاء نباتي واحد ومناخ واحد، حتى إن الظروف التاريخية تكاد تكون واحدة، وهو ما كان يسمى في عهد الأتراك بباليك الغرب، غير أن بعض المؤرخين يتناول كل مدينة بمواصفاتها وخاصة أثناء الوجود العثماني، كما يوضح ناصر الدين سعيدوني ذلك في مقدمة كتابه دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر[1].

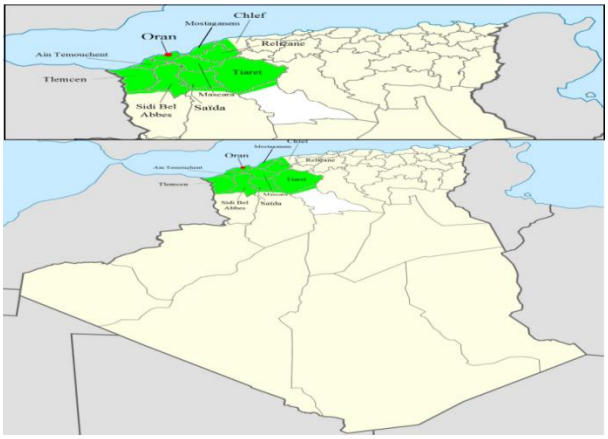

وكل هذه المدن في هذه المساحة الجغرافية عرفت بانتشار واسع للزوايا سواء قبل الاحتلال الفرنسي على أيام الحكم العثماني أو في فترة الاحتلال الفرنسي وبعضها نشأ بعد الاستقلال وهي يضم العديد من الزوايا التي بعضها لا يزال ينشط إلى اليوم والبعض توقف نشاطها وأصبحت عبارة عن مساجد تؤدى فيها الصلوات الخمس وإن كانت لا يزال يطلق عليها اسم زاوية، والبعض للحفاظ على تاريخها تودي فيها الأذكار وبخاصة يوم الجمعة من بعد صلاة العصر، كالزوايا المتواجدة، وتكمن أهمية الطوبونيميا في هذا المجال في السعي

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1973، ص 5.

لفهرسة أسماء الزوايا ودراسة أسمائها ودراسة مواقعها وإدخالها في تصنيف معجمي وبيان ماضيها وحاضره الأن بيان أسمائها ودراستها جزء من الذاكرة الوطنية، وأن دراستها تزود الباحثين بمعلومات عن الطبيعة الجغرافية والطبوغرافية والجيومرفولوجية لمكان الزوايا وبيئتها التي نشأت فيها وما طرأ عليها من تحول كما تمدنا بمعلومات عن تأسيسها وطقوسها الدينة المتعلقة بالسلوك، والاهتمام بأصلها اللغوي والرجوع الى الأرشيف المدون حولها بالإضافة ما تتركه الرواية الشفوية، وهذا كلّه له علاقة بعلم الأماكنية وله صلة وطيدة باللسانيات وعلوم اللغة.

إن من أبرز الزوايا القائمة في الغرب الجزائري على جهة العموم زاوية أبي مدين شعيب، وأبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري، الأندلسي التلمساني، فهو من كبار المتصوفة الذي استقر بتلمسان وتوفي بها، سنة 594هـ، أخذ العلم عن الشيخ الإمام سيدي عبد القادر الجيلاني حين التقاه بمكة المكرمة. وله من المؤلفات أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد، وله أيضا، مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب.كما له ديوان شعري يضم مجموعة من القصائد الصوفية.

المظهر الخارجي لزاوية وضريح أبي مدين شعيب

ثانيا: طوبونيمية زوايا مدينة وهران وأماكن تواجدها.

ومن مدن الغرب الجزائري التي عرفت بالزوايا كمركز إشعاع ديني وروحي مدينة وهران وهي مدينة واقعة في الشمال الغربي للجزائر تقع على خط الطول 35،6991، وخط العرض 0،63588، وعدد سكانها حوالي 646،000 نسمة لها حدود مع بعض مدن الغرب، وهي مدينة سياحية وساحلية لها نشاطها الاقتصادي وتحافظ على دورها التاريخي وهي المدينة الإسلامية التي بناها الأمازيغ المغراويّون، ومن رمزياتها جبل المايدة أو جبل سيدي عبد القادر أو جبل سيدي هيدور هو جبل الطُّلبة (حفظة القرآن) وخلوات الصالحين ولها تاريخ أثناء الفتح الثاني للمدينة سنة 1792م علي أيام الباي محمد بن عثمان الكبير باي مدينة معسكر. ومن أشهر بلدياتها قديل السانيا حاسي بونيف أرزيو بطيوة عين الترك مرسى الحجاج العنصر واد تليلات طفراوي سيدي الشحمي بوفاطيس المرسى الكبير بسفر لكرمة، وقد طرق المعجم الطوبونيمي إلا معناها الوهر أي الأسد ومعناها أيضا يعود لتسمية أمازيغية إلى واد هاران وقد يكون مأخوذا من اسم أحد الأمراء الفاطميين، بوشارام وارهام، وعرفت مدينة وهران بعلمائها وربطاتها وزواياها، وقد فصل ذلك يحي بوعزيز في كتابه مدينة وهران عبر التاريخ، أما مساجدها القديمة فهي على سبيل المثال مسجد عبد الله بن سلام، ومسجد الإمام مالك بن أنس.

مسجد الطلبة (جبل المايدة).

مسجد الباي محمد الكبير المتواجد بحي سيدي الهواري.

مقام وضريح سيدي الهواري (وهران).

وتعرف مدينة وهران بمواقع وأمكنة صوفية وأضرحة منها مسجد الطلبة حديث البناء المرتبط بتحرير وهران من الهجوم الإسباني، وأيضا ضريح سيدي الهواري هو الشيخ محمد بن عمر الهواري من أهل العلم والصلاح، ولد في

مستغانم سنة 1350م، واستقر بوهران وفتح زاويته بها وظل يدرّس إلى أن توفي عن 89 عاما[1].

وزوايا مدينة وهران تنوعت الطرق الصـــوفية المتواجدة بها بين التجانية والقادرية والهبرية والعلوية والبوعبدلية بالخصـــوص، وكذا الزاوية البلقايدية التي أصبح لها شهرة واسعة، وكما هو معروف كما كنا قد أشرنا سابقا أن كل طريقة لها نسـبتها والأصـل الذي تفرعت عنه، ومن أهم زواياها ما هو موجود في هذه الخريطة المتبوعة بالجدول الخاص بالزوايا وأماكن تواجدها.

خريطة لزوايا مدينة وهران.

*** جدول بأهم زوايا مدينة وهران وأماكن تواجدها:**

اسم الزاوية	العنوان	الولاية	شيخ الزاوية	الطريقة المتبعة
زاوية سيدي الشيخ الهبري	شارع رقم 46مزواغي محمد حي مرافال	وهران	هبري أحمد	هبرية

[1] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ضمن أثار الدكتور يحي بوعزيز، ص 113.

زاوية الشيخ بن كابو بلقاسمي	13 طريق ميمون عبد السلام حي مدينة جديدة	وهران	الشيخ بن كابو بلقاسم	تيجانية
زاوية سيدي بن لبنة	حي الصنوبر بلونتار	وهران	الشيخ بلبنة محمد	علوية
زاوية القران الكريم سيدي براهيم الوزاني دار الضمانة	05 شارع دريدر موسى سنتاس	وهران	الشيخ شريف الوزاني	الطيبية
الزاوية العلوية بلقايد	شارع محمد بلبشير 01 شارع تولا على علال مدينة الجديدة	وهران	الشيخ خالد بن تونس	علوية
زاوية سعيد زموشي	شارع سانت أوقستن الحمري	وهران	الشيخ مصطفى راشي	علوية
زاوية سيدي عبد الباقي	شارع حمدان علي رقم 30 حي الحمري	وهران	الشيخ سيدي عبد الباقي	بوعبدلية
زاوية سيدي عبد الباقي	شارع محمد بن إسماعيل بومدين رقم 20 الصديقية	وهران	الشيخ عدة بن عامر	بوعبدلية
الزاوية العلوية البلقادية	حي سيدي الهواري	وهران	الشيخ البلقايد العلوي	علوية

سيدي عبد الباقي	حي سكاليرة سيدي الهواري باب الحمراء	وهران	الشيخ سيدي عبد الباقي	بوعبدلية
زاوية الشيخ عبد القادر بن عدة بوعبدلية المشيشية	شارع بلبشير أحمد رقم 98الحمري	وهران	الشيخ عبد القادر بن عدة	علوية
زاوية سيدي عبد الباقي	12 شارع رحالي العربي	وهران	الشيخ سيدي عبد الباقي	بوعبدلية
الزاوية الحبيبية	حي زرموندي رقم 58حي الحمري	وهران	الشيخ الحاج العربي	الحبيبية
زاوية الشيخ عبد القادر رومان الشريعة والحقيقة	حي مراح عبد القادر رقم 301	وهران	الشيخ عبد القادر رومان	التجانية
زاوية سيدي حسني(فرع)	05 شارع دريدر موسى سنتاس	وهران	الشيخ شريف الوزاني مولاي حسن	الطيبية
زاوية الشيخ التبليخ السيد بوفلوع أحمد بن حراث	رقم 04 شارع بلبشير أحمد حي الحمري	وهران	الشيخ بوفلوع أحمد بن حراث	علوية

الزاوية الكبرى التجانية	08 شارع عثمان جيلالي اكميل	وهران	الشيخ سيد أحمد التيجاني	التيجانية
زاوية سيدي قدور بن سليمان	04 شارع رحالي العربي المدينة الجديدة	وهران	الشيخ قدور بن سليمان	علوية
زاوية الشيخ الهبري	14 شارع بلاوي بشير حي سانبيار	وهران	الشيخ ولهاصي محمد	هبرية
الزاوية الصوفية المحمدية	299 حي الشهداء	وهران	الشيخ محمد الصوفي	علوية
الزاوية التجانية للشيخ سيدي أحمد التيجاني	شارع تلمسان المدينة الجديدة	وهران	الشيخ سيدي أحمد التيجاني	التيجانية
الزاوية وضريح سيدي الحسني	08 شارع سيدي الحسني	وهران	الشيخ شريف الوزاني مولاي حسان	الطيبية
الزاوية الدرقاوية	209مسكن حي كاشا بغداد رقم 132سيدي الشحمي	السانيا –وهران	الشيخ بن حمر العين عالي	علوية

زاوية سيدي قدور الدبي	22 شارع الشهداء سيدي الشحمي	السانيا –وهران	الشيخ قدور الدبي	علوية
زاوية أولاد سيدي محمد بن يعقوب للشيخ بن يعقوب بن عبد الله	48 التجزئة الثالثة حي 418 مسكن حي النجمة سيدي الشحمي	السانيا –وهران	الشيخ بوخرص جيلالي	علوية
زاوية الشيخ سيدي عبد الباقي الزاوية القادرية	05 شارع بن بولعيد بلدية سيدي الشحمي	السانيا–وهران	الشيح سيدي عبد الباقي	علوية
الزاوية الهبرية الشاذلية البلقادية	سيدي معروف بلدية سيدي الشحمي	السانيا–وهران	الشيخ بلقايد محمد	الهبرية
البوتشيشية الصوفية (القادرية)	شارع سعد أحمد رقم 19 بلدية عين البيضاء	السانيا–وهران	//	القادرية
الزاوية العلوية	شارع 08 مارس رقم 04 بلدية السانيا	السانيا –وهران	//	القادرية

الزاوية البوتشيشية الصوفية	تجزئة رقم 210 قطعة سيدي الخيار	السانيا –وهران	الشيخ بن عامر	علوية
الزاوية الشاذلية الدرقاوية	سيدي بن يبقى	آرزيو–وهران	الشيخ عبد الباقي	علوية
الزاوية الشاذلية الدرقاوية	حي القطنة بلدية آرزيو	آرزيو –وهران	الشيخ عبد الباقي	علوية
زاوية مولاي الطيب	07 شارع الحدائق رقم 28 بلدية آرزيو	آرزيو –وهران	الشيخ مولاي حسن بن مولاي عبد الرحمن	علوية
زاوية سيدي عبد الباقي	ساحة الاستقلال بلدية بوسفر عين الترك	وهران	الشيخ سيدي عبد الباقي	علوية
زاوية الشيخ بلكبير	حي العربي بن مهيدي بوزفيل بلدية عين الترك	وهران	الشيخ بن لكبير محمد عبد الله	//
زاوية سيدي علي بوتلليس	قرية بريدعة سيدي علي بوتلليس بلدية مسرغين	وهران	الشيخ بلخضري محمد	علوية
زاوية الغوافلة (الأم بعين	116 سكن حي رابح مسرغين	بوتلليس– وهران	الشيخ بوغفالة مكي	علوية

الحديد – تيارت)				
زاوية سيدي عبد القادر الجيلالي	مسرغين	وهران	الشيخ بالنفلة	علوية
زاوية عبد القادر سي كريم الدين	بلدية بطيوة	وهران	الشيخ عبد القادر سي كريم الدين	تيجانية
زاوية سيدي البشير	شارع مفدي زكرياء– بطيوة	وهران	الشيخ درقاوي لكحل	تيجانية
زاوية سيدي محمد بن عيسى	شارع سيدي عمر – بطيوة	وهران	الشيخ سيدي محمد بن عيسى	//
زاوية الشيخ سيدي بن تكوك	حي الأمير عبد القادر–بطيوة	وهران	الشيخ العربي محمد – سيدي بن تكوك	//
زاوية الصوفية الجيلانية	حي فرول عبد القادر–قديل	وهران	الشيخ جيلالي مناد	علوية
زاوية البعطوشية الشاذولية	حي 40 مسكن حاسي مفسوخ –قديل	وهران	الشيخ علي باشا عبد القادر	الشاذلية الدرقاوية

الزاوية الشاذلية الدرقاوية	شارع حي الحدائق – قديل	وهران	الشيخ عبد الباقي بن محمد الطاهر الشعاعي	علوية
الزاوية العثمانية سيدي علي بن عمر	قرية الحامول بلدية طافراوي – واد تليلات	واهران	الشيخ العثماني	علوية
زاوية مخالفة بن حفصة بن سعيد	المنطقة السكنية الهمررانية الجديدة رقم E18– واد تليلات	وهران	//	//
زاوية الشيخ سيدي محمد الصوفي	حاسي بونيف – بئر الجير	وهران	//	علوية
زاوية الشيخ سيدي محمد بن جراد الكرزازي	حي رجال الرحى– بجوار مقر البلدية والسوق البلدي – حاسي بونيف – بئر الجير	وهران	(شيخ الزاوية الجرادي ابراهيم) – الشيخ سيدي محمد بن جراد الكرزازي	علوية

الزاوية البوعبدلية	التعاونية العقارية الفلاح 15 حي الأمير عبد القادر – بئر الجير	وهران	الشيخ البوعبدلي	بوعبدلية

*** صور بعض زوايا مدينة وهران:**

الزاوية التجانية

الزاوية البلقايدية

الزاوية التجانية (بوسفر)

ثالثا: طوبونيميا زوايا مدينة عين تموشنت وأماكن تواجدها.

خريطة لأهم زوايا عين تموشنت

مدن الغرب الجزائري أيضـــا مدينة عين تموشـــنت المدينة التي عرفت كذلك بزواياها المنتشرة فيها، وعين تموشنت مدينة تقع هي الأخرى في الشمال الغربي للجزائر وتعتبر مدينة ذات أصول تاريخية، وتعرف بنشاطها الاقتصادي، وزويا مدينة تموشـــنت تنوعت الطرق الصـــوفية المتواجدة بها بين التجانية والقادرية والعيســاوية والعلاوية والحمداوية، وكل طريقة كما ســبقت الإشــارة لها نســبتها والأصــل الذي تفرعت عنه، وأهم زواياها ما هو موجود في هذا الجدول المرفق:

اسم الزاوية	العنوان	الولاية	شيخ الزاوية	الطريقةالمتبعة
الزاوية التجانية	07 شارع مغني صنديد فاطنة	عين تموشنت	حاج سعيد بولنوار	التجانية
الزاوية الإبراهيمية الحنفية الأحمدية	17 شارع مجاهدي عبد القادر	عين تموشنت	رحموني ميلود	التجانية

زاوية سيدي بن عيسى محمد	76 قرية بني خالد بني صاف	عين تموشنت	(الشيخ الكامل) سيدي أمحمد بن عيسى	العيساوية
زاوية سيدي بودية ولد سيد بلحضري	سيدي بلحضري واد الصباح	عين تموشنت	سيدي بودية	القادرية
زاوية الحاج ولد سعدي معمر	شارع ختو بن زلاط	عين تموشنت	ولد سعدي معمر	العلوية
زاوية سيدي يعقوب	ولهاصة الغرابة	عين تموشنت	سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني	القادرية
زاوية الشيخ الجازولي	سيدي ورياش ولهاصة	عين تموشنت	العابدين عبد الكريم	العيساوية
زاوية أولاد سيدي بوعزة الغربي	مزرعة أولاد سي بوعزة	عين تموشنت	سيدي بوعزة	بوعزاوية
زاوية سيدي أحمد بوحجر	حي محمد بوضياف	عين تموشنت	بوحجر سعيد	تيجانية
زاوية سيدي غالم	شارع مزوار الحبيب	عين تموشنت	غالم بلغالم	الصوفية
زاويـــــــة سيدي الشيخ عبد القادر	01 حي النهضة	عين تموشنت	صافي زياد	القادرية

زاوية سيدي أحمد بن يوسف	مسكن 320 حي	عين تموشنت	مولاي ملياني حبيب	الشاذلية
زاوية سيدي معاشو	حي النهضة	عين تموشنت	معاشو بوسيف	الحمداوية
الزاوية الصوفية المحمدية	شارع بليلي قاسم	عين تموشنت	بن كرامة محمد	الصوفية

والملاحظ أن زوايا عين تموشنت معظمها إما باسم مؤسسها أو باسم الطريقة التي تنتمي إليها.

*** بعض الصور للزوايا الكائنة بعين تموشنت:**

زاوية سيدي حمادوش

رابعا: طوبونيمية زوايا مدينة سعيدة وأماكن تواجدها.

أما بخصوص مدينة سعيدة الواقعة في الغرب الجزائري أيضا وفي الجنوب الشرقي لمدينة معسكر أيضا تزخر بالعديد من الزوايا تنتمي أغلبها للطريقتين القادرية والتجانية كما تتواجد بها الطريقة الهبرية

والطيبية والشيخية والبرهانية، ومن سبتها والأصل الذي تفرعت عنه، وأهم زواياها ما هو موجود في هذه الخريطة والمرفقة بالجدول:

خريطة مدينة سعيدة وضواحيها

الرقم	اسم الزاوية	الولاية	شيخ الزاوية	الطريقة
1	زاوية سيدي البودالي	سعيدة	بوذريع مولاي العربي	الهبرية
2	زاوية التجانية الأحمدية	سعيدة	بلخوجة حبيب	التجانية
3	زاوية مولاي الطيب	سعيدة	وزاني محمد	الطيبية
4	الزاوية الشيخية القادرية	عين السخونة، سعيدة	زوي حمو طيب	القادرية
5	الزاوية الصوفية البوتشيشية	سعيدة	قندوسي عبد الكريم	القادرية
6	الزاوية سيد شيخ بوعمامة	سعيدة	دحمان محمد	الشيخية

7	الزاوية البرهانية الداسوقية	سعيدة	سايح محمد	البرهانية
8	الزاوية الصوفية البوتشيشية	عين الحجر، سعيدة	بن الشيخ حبيب	القادرية

خامسا: طوبونيمية زوايا مدينة مستغانم وأماكن تواجدها.

مدينة مستغانم مدينة عريقة تاريخية عرفت بأوليائها ومقاماتها الصوفية وزواياها ومنها ضريح الولي الصالح سيدي لخضر بن خلوف: وزاوية سيدي بلحول في واد الخير، والزاوية العلاوية ومدينة مستغانم وأشهر الطرق الصوفية المتواجدة بمدينة مستغانم، الطريقة العلاوية والطريقة الحبيبية والطريقة التيجانية.

ضريح سيدي لخضر بن خلوف.

فالأخضر بن خلوف هو في الأصل لكحل بن خلوف وهو الولي والشاعر الذي أقام في المنطقة خلال القرن 16 ميلادي، وتحدث عنه بن دعماش طويلا وبين المراحل التي نشأ فيها إلى أن أسس مقام زاويته وخاصة في حديثه عن

البعد الصوفي[1]، أما زاوية الشيخ بلحول نسبة إلى صاحبها الذي أقام زاويته في منطقة واد الخير، وســـمي طويونيميا بواد الخير تيمنا ببركة المنطقة التي كان يقطنها عابروا السبيل.

تعد الطريقة العلاوية أحدث الطرق الصوفية عهدا وآخرها تأسيسا، وأكثرها دقة وتنظيما، فقد استعملت منذ تأسيسها أحدثا لأساليب العصرية لبث أفكارها ومبادئها، وبذلك انتشرت الطريقة انتشارا سريعا وواسعا لم تحض به الطرق الأخرى، فشاع أمرها وصار لها أتباع من المغرب العربي والسنغال ومدغشقر[2]، كما انتشرت في أوربا وآسيا وأمريكا.

سادسا: طوبونيمية زوايا مدينة غليزان.

أما مدينة غليزان فهي أيضا مدينة عامرة بأهل التصوف وأشهر زواياها كما هو مبين بالجدول الآتي زوايا مدينة غليزان.

*** قائـــمة الـزوايا لـــولايـــة غليـــزان.**

الرقم	الزاوية	المشرف على الزاوية	البلدية
1	الحاج قويدر بن عمار	محمد بدر	غليزان

[1] عبد القادر بن دعماش، سيدي لخضر بن خلوف أمير شعراء الملحون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ط 1 2018. ج1، ص 91.

[2] بن مزوز عامر، مسيكة محمد، الطريقة العلاوية طريقة صوفية بطريقة عصرية، مجلة عصور جديدة جامعة وهران مجلد 7 العدد 2 . 2015، ص 67.

2	الحاج قويدر بن عمار	علي بدر –توفي رحمه الله–	غليزان
3	سيدي علي بن يحي	امحمد مهدي	غليزان
4	الزاوية الهبرية	محمد بلحريزي	وادي الجمعة
5	الزاوية البودشيشية– القادرية	حراث لعمى –توفي رحمه الله –	زمورة
6	سيدي غلام الله	ميلوم خير الدين	غليزان
7	الشيخ قويدر بن عمار	عبد القادر بدر	غليزان
8	الزاوية التيجانية	حاج أحمد محمد	غليزان
9	زاوية الشيخ بلمكي	مكي صالح	غليزان
10	زاوية الشيخ سيدي رابح	عثمان زبار	المطمر
11	زاوية سيدي عدة بن محي الدين	المهدي حديد الله	سيدي خطاب
12	زاوية سيدي عبد الباقي	عبد الرحمان بن زيان	وادي الجمعة

13	زاوية سيدي غلام الله	الطاهر مغوفل	حمري
14	زاوية الشيخ بلوش	بلعربي بن هني	حمري
15	زاوية سيدي بوعبد الله	غريب الله بوعبد الله	وادي رهيو
16	زاوية الحاج بلقاسم	مصطفى سنوسي	زمورة
17	زاوية الشيخ بن عطية	محمد عقرب	زمورة
18	الزاوية الأحمدية التجانية	يوسف مكرلوف	القطار
19	زاوية الشيخ عبد الإله	محمد الصادق عبد الوهاب	سيدي احمد بن علي
20	زاوية الشيخ بن عبد الله شايب الذراع	حسين شايب الذراع	غليزان
21	زاوية سيدي رابح	أحمد زبار–توفي رحمه الله –	غليزان
22	زاوية عكرمة	ميلود بوزيان	الحمادنة
23	زاوية الشيخ غلام الله	ميلود خير الدين	غليزان
24	زاوية الشيخ فراق	محمد فراق	واريزان
25	الزاوية الرحمانية	محمد الجيلالي	غليزان

26	الشيخ بلمكي (القرابة)	مكي المداني	غليزان
27	زاوية بسباع	سيدي علي بشير	غليزان

حسب الروايات الشفهية هناك تنوع في الطرق الصوفية لكن أكثرها الطريقة الرحمانية فمثلا زاوية الشيخ سيدي عبد العزيز بلمكي "الرحمانية" تعتبر صرحا علميا القائم عليها الشيخ المدني، والشيخ المنور هو أول من أدخلها عن سيدي بن عبد الرحمن الأزهري الخلواتي وزاوية محمد الجيلالي، وزاوية الشيخ بلوش، وأكثر هذه الزوايا تقوم على تحفيظ القرآن والعلوم وتلاوة الأوراد، أما تسميتها طوبونيميا راجع إلى مؤسسيها، أو باسم الطريقة التي تنتمي إليه[1].

والملاحظ أن أكثر الزوايا تواجدا في الغرب الجزائرية هي الزاوية القادرية ثم التجانية ثم بأقل نسبة العلاوية والحبيبية والعيساوية والحمداوية، ثم إن تمركزها قائم على الانتماء التاريخي فالمؤكد أن هذا الانتماء له أصوله المرتبط بحفظ الموروث الإنساني، وحفظ الحقائق المتعلقة بهذه الزاوية أو تلك، فوضع معجم طوبونيمي لزوايا الغرب الجزائري وصناعته يعني ضبط هذه وتسجيلها تاريخيا وجغرافيا وهناك إشارة لفاطمة لواتي في مقدمتها للعمل الذي قام به المجلس الأعلى للغة العربية في وضع أرضية للمعجم الطوبونيمي تقول :"تكمن أهمية هذا المعجم الطوبونيمي في تقديم خدمة جليلة للميدان التاريخي

[1] العماري الطيب جامع بسكرة، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، مجلدة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 15 جوان 2014، ص127

والاجتماعي، وتزداد أهميته كلما عرفنا أن يقدم المادة العلمية اللغوية عن المناطق المختلفة التي تتناولها مما يفيد البحثة في تنمية المعارف اللغوية والجغرافي لديهم، ولهذا أصبح المعجم الطوبونيمي ضرورة ملحة في التلاقح بين العلوم الثلاثة المعجمية وصناعة المعاجم والطوبونيمية"[1].

[1] المجلس الأعلى للغة العربية، المعجم الطوبونيمي الجزائري، منشورات المجلس 2021، ص10.

الفصل الثالث:

زوايا مدينة معسكر دراسة طوبونيمية

المبحث الأول: معسكر التاريخ والتصوف.

المبحث الثاني: الزوايا وحاضرة معسكر التاريخية.

المبحث الثالث: طويونمية أسماء المواقع بمدينة معسكر.

المبحث الرابع: عروش ودواوير منطقة معسكر، والتسمية الطوبونيمية.

المبحث الخامس: معجمية الزوايا المعسكرية قراءة في الجذور من المنظور الطوبونيمي.

المبحث السادس: الزوايا وطرق التصوف في حاضرة معسكر وطوبونيمية الأسماء.

تمهيد

إن الحقول المعرفية والعلمية والثقافية بجميع أصولها وفروعها أصبحت تعرف اهتمامات واسعة بدراسة المعالم الدينية والرموز الثقافية وخاصة الكتاتيب والزوايا لما لها من أهمية كبرى في تكوين القيم وتفعيلها داخل المحيط الاجتماعي، ولما كانت الزوايا إحدى الركائز المخصصة في إنشاء القيم الروحية والسمو بالسلوك الصوفي إلى أرقى مستوياته، فكان لزاما علينا أن نركز اهتمامنا على توزيع هذه الزوايا جغرافيا داخل مدينة معسكر والنظر إلى تماسكها تاريخيا وثقافيا وعقائديا، باعتبارها وسيلة مهمة في الحفاظ على أواصر الوعي الجمعي للمجتمع المعسكري الواحد من جهة، ومن جهة أخرى الرفع من مستوى الوعي في ترسيخ الهوية الدينية والوطنية، وعليه فإن الوعي بأهميتها وانتشارها ومعرفة دورها يؤدي بنا إلى التفكير في إنشاء معجم اصطلاحي لهذه الزوايا في مدينة معسكر.

إن دراسة القضايا المتعلقة بهذه الزوايا يعتبر من الشواهد الحقيقية على قيمة الموروث الاجتماعي والإنساني والروحي لهذا الفضاء الجغرافي وامتداده التاريخي الذي ينتمي إلى الذاكرة الجماعية داخل مدينة معسكر وضواحيها، بحيث ستكون هذه الزوايا والرباطات والمعاهد والمقامات والأضرحة جزءا من خزانها التراثي الذي لا ينفذ، والحديث عن ذلك تجسد في العديد من الدراسات التي سوف يكون الاستشهاد بأكثرها ضمن هذا الفصل.

والنظر إلى هذا النمط من البحوث يشكل الدوافع الموضوعية لمعرفة أبعاد الزوايا وما توحي به من اتساع دلالي، التي نذكر من بينها الدراسات البينية

التي تعد من الدراسات الحديثة التي تجمع بين موضوعين وأكثر، وذلك لإبراز الجوانب الدالة على حداثة مواضيعها، والحرص للتعرف على معارف جديدة، والتواصل إلى الحقيقة المعرفية القائمة على الاستدلال أو التوصل إلى القاعدة التي تستند على البعد المعرفي والتي نسعى إلى التوصل إليها حتى نستطيع فتح أفاق علمية جديدة تتعلق بدراسة موضوعية شاملة للبعد الاجتماعي والتاريخي والثقافي للزوايا.

إننا نخصص هذا الفضاء البحثي أيضا لزوايا معسكر، حتى نساير المناهج العلمية الحديثة ونتماشى وفق معطياتها، خاصة وأن مثل هذه الدراسات مهمة في تاريخ الزوايا ونشأتها وتسميتها.

المبحث الأول: معسكر التاريخ والتصوف.

لقد ورد في كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب، لمؤلفه بلهاشمي بن بكار، فيما تعلق بمدينة معسكر وتأسيسها جاء فيه أنه قيل بأن راشد بن المرشد القرشي هو الذي بنى مدينة معسكر، في القرن الثاني ثم نزل عليه بها إدريس بن عبد الله الكامل وأخوه سلمان. ومكثا عنده في معسكر ستة أشهر. ومنها انتقل إدريس وراشد إلى المغرب الأقصى[1]، وهذه الرواية استدل بها كثير من الباحثين في دراساتهم المختلفة[2].

ويذكر الباحث بوداود عبيد، أن معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية حيث يرى أن التاريخ العريق لمدينة معسكر لم تزل الكثير من صفحاته مغمورة خاصة في العديد من مناطق المدينة كرجل تغنيف وآثار البنيان.

أولا: الجانب الجغرافي والتاريخي للمدينة.

الدراسات الطولونية هي من الدراسات الحديثة التي تتناول الأماكن والمواقع والآثار، وتقترب كثيرا بشكل منطقي ومعرفي من حقيقة تسمية هذه المواقع، مع الاقتراب من الجذور التاريخية لهذه التسمية، وقيمة هذه النعوت

[1] الشيخ الهاشمي بن بكار، كتاب مجموع الحسب والنسب الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون تلمسان، سنة 1961 م صفحة 34 وينظر عبد القادر زمامة، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب.العدد 234، مارس1989، ص 87.

[2] عبد القادر زمامة، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب.العدد 234، مارس1989، ص 87.

التي أطلقت على هذه والأماكن فالدراســـة الطوبونيمة هي إحدى آليات البحث التاريخي والجغرافي العميقين بناء على معطيات التحليل المواقعي والطوبوغرافي الذي تتجدد أبحاثه بناء على ما ستجد من الدراسات.

فمعسكر مدينة من مدن الجزائر لها جغرافيتها المكانية وتاريخها الزماني، فهي تنفرد بتقاسيمها التاريخية ومشهدها الثقافي الذي يسجلها تراثها الحضاري العريق فهي حاضرة علمية وقلعة للتراث.

تقع هذه المدينة في شــمال غرب الجزائر وتحتل موقعا اســتراتيجيا مهمّاً على الصعيد الاقتصادي والتجاري، وتتميز بسهولها ومرتفعاتها وتنوع غطائها النباتي وتنوع محاصـــيلها وثروة غابية مما يســـاعد على أن تكون مكانا مهيئ للاســتقرار، كما تتميز بمناخ معتدل، ومن ســهولها ســهل هبرة وســيق وســهل غريس، ومن جبالها جبال بني شقران وجبل مناور.

وفضــاء الراشــدية هو ذلك الفضــاء التاريخي الجغرافي، عاصــمته مدينة معسكر يحدّه شمالا فضاء البرج وفضاء عبيد الغرابة وشرقا والجنوب الشرقي فليتة وصـــدامة وجنوبا أرض اليعقوبية وغربا بني عامر، وتعتبر كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين من أهم المصادر التي يمكن الاستعانة بها في كتابة تاريخ منطقة بني راشد في العصر الوسيط[1].

[1] عبيد بوداود، معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية، كتاب جماعي معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر. دار الرشاد للطباعة والنشر الجزائر. ط1، 2014، ص 15.

ومن الناحية التضاريسية، يتكون هذا الفضاء من مجموعات جبلية تتخللها مساحات زراعية سهل غريس وأودية وهي على النحو التالي، فمن الشرق والجنوب الشرقي، جبل سيدي عبد الله وجبل سيدي بن حليمة وجبل براني وشمالا، وشارب الريح أما عن أودية فضاء الراشدية فنجد من الجنوب الشرقي وواد العبد وواد العباس، وشمال أواد الزوا، وغرب أواد الحمام وواد بني مريارين، ومن الجنوب الغربي واد التاغية. فالملاحظ أن طوبونيمية الأماكن كانت تقاس بحدود الأودية.

أما بشريا يتكون هذا الفضاء من قبيلة الحشم التي تنقسم إلى قسمين، الحشم الشراقة، والحشم الغرابة، فأما الشراقة فهم مكونين من أهل غريس وولاد عيسى بن عباس وولاد عباس والمحاميد وعلالمة وولاد سيدي عمر بن دوبة وحبوشة وموالك وزلامطة، وأما الغرابة، فهم أولاد سيدي علي بن عومر أولاد سيدي لحرش أولاد سيدي محمد وأهل فكان وأولاد سيدي منصور وأهل واد الحمام وأولاد عبد الواحد[1].

وهؤلاء فالغالب إما انتساب إلى قبيلة أو عرش أُخذ أساسا من الألقاب التي فرضتها طبيعة الدراسة وهو الارتكاز على المادة الأرشيفية بالدرجة الأولى لتوفرها بالمدينة وضواحيها التي تحافظ على مادة الانتساب، مع مراعاة أصول الانتماء، والبعض يرجع إلى الانتساب إلى الجد الأول الذي نزل بالمنطقة وأقام بها، والغالب أن يكون صاحب كرامة وولاية فتأتي النسبة إليه بلفظة (أولاد).غير

[1] الشيخ الهاشمي بن بكار، المصدر نفسه، ص 39.

أن البحث في هذا المجال ضئيلا للغاية بسبب قلة الدراسات والمراجع، ومن هنا فمعالجة الموضـوع لا تسـتدعي المصـادر القديمة فقط، وإنما تتطلب الاعتماد على مصـادر جديدة للبحث في التاريخ الاجتماعي المتمثلة أسـاسـا في سـجلات الحالة المدنية؛ وبالتحديد في سجلات عقود الميلاد لثلاثين سنة من 1870 إلى غاية 1900 وهي الفترة التي شـهدت ترسـيخ نظام الحالة المدنية وتقنينه بشـكل فعلي وإلزامي، وهذا ما يجعل البحث عن المادة من الأمور العسيرة.

وقد تحدث الكثير من الباحثين أن البحث عن القبائل والأعراش يتطلب الاطلاع على مختلف الوثائق الإدارية مثل المراسيم والقرارات وجداول الإحصاء وخرائط السجلات، والنظر أيضا إلى إحصاء الدواوير والقبائل وفق ما نشأ منها طبقا للمراسـيم التشـريعية التي أرخت عام 1863م، وما تم ترتيبه وفق أسـمائها الفرنسية المعتمدة في المراسيم المضمنة في النشرة الرسمية لوثائق الحكومة[1].

ولهذا فإن تحديد الأماكن ودراسـتها دراسـة طوبونيمية يتطلب الإحصـاء الإداري والمسـاءلة الشـفهية القائمة على تناقلته الآباء عن الأجداد طبقا للاهتمام السائد من سكان الأعراش والقبائل بأصولهم وجذورهم القبلية.

أكاردو، معجم قبائل ودواوير الجزائر إشراف لومير دي فيلر، ترجمة حمزة الأمين يحياوي، مالك بن خيرة، عالم المعرفة الجزائر، 2017، ص7.

خريطة معسكر وضواحيها.

لهذه المدينة حدود مع ســـت ولاية من ولايات الغرب الجزائري وتبعد عن عاصمة البلاد بـ 360 كلم.

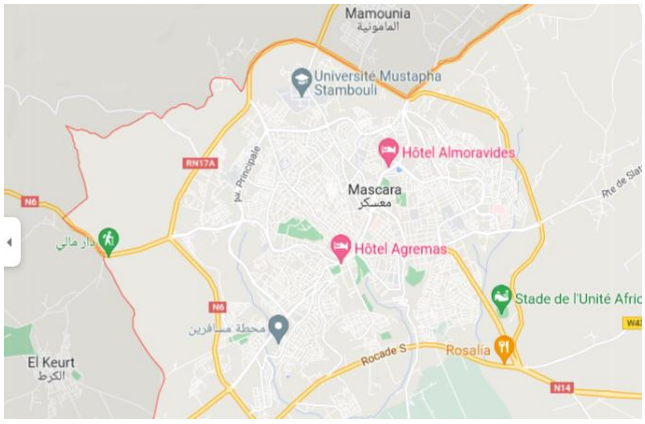

خريطة مدينة معسكر.

ويعود الوجود البشـري فيها إلى أكثر من ســبعمائة ألف عام، بالنظر إلى الاكتشافات الأثرية التي دلت على وجود إنسان باليكاو، أي تغنيف كما عثر في

منطقة مناور على بقايا عظمية تعود للفترة القديمة من تاريخ هذه المدينة، كما عاش فيها قبائل بربرية كقبائل المور وزناتة وهوارة، كما تحوي المدينة بقايا من الوجود الروماني ومن المدن (أكواسيرانس) بو حنيفية، و(كاسترانوفا) المحمدية و(الأميلاريا) أي البنيان.

وللمدينة مدينة معسكر حضور إبان الفتوحات الإسلامية، ومر عليها الحكم الرستمي والإدريسي والفاطمي والمرابطي والزياني إلى غاية الدولة العثمانية مع بداية القرن السادس عشر ميلادي العاشر الهجري، وأصبحت بهذا التاريخ عاصمة للإيالة الغربية من 1701 إلى غاية 1792 وعاشت المدينة عصرها الذهبي، والفترة العثمانية من أهم الفترات التاريخية عرفت فيها ازدهارا عمرانيا وبها تم تدشين الأبواب السبعة.

ففي هذه الفترة عرفت المدينة بناء العديد من المساجد في عهد الباي بن عثمان الكبير، ومن أهمها الجامع الكبير ومسجد عين البيضاء، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله من أن معسكر كانت لها الحظوة السياسية والعلمية التي سبقت بها كلا من وهران ومستغانم خلال هذه الفترة من الحكم العثماني. وقد تحدث سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر عن رحلة محمد الباي الكبير وعن جهود محمد بن عبد الكريم في تحقيق كتاب رحلة محمد الكبير الذي كتبه ابن هطال[1].

[1] أبو القاسم سعد الله ن أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (القسم الأول) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط2 1981، ص 357.

فمعسكر قبل أن تكون عاصمة سياسية وإدارية للدولة الجزائرية التي أنشأها الأمير عبد القادر فهي عاصمة سياسية ثقافية ظهر نجمها في عهد الباي محمد الكبير الذي عرف باهتمامه بالعلم والعلماء وتشييد المعاهد والمدارس الدينية ولعل أشهرها المدرسة المحمدية التي ألحقها بمسجده مسجد عين البيضاء والذي يعرف اليوم بمسجد المبايعة.

المبحث الثاني: الزوايا وحاضرة معسكر التاريخية.

زوايا الطرق الصـوفية وهي قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصـة، ونظامه يشبه النظام الملكي الوراثي، حيث يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شـيء، والطريقة لها مريدون وأتباعه ما لذي يقومون بتموين الزاوية.

أما في حالة وفاة الشـيخ فالخلافة تكون، عن طريق الوصـاية التي يتركها الشـيخ أو تختاره عائلة الشـيخ وفق شـروط خاصـة، أما تسـميتها فهي غالبا ما تكون منسـوبة، هي منسـوبة إلى شـخص ميت تقدسـه العامة وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنتسب إليه.

وهناك أنواع الزوايا من حيث الموقع ومن العلماء من يفرق بين نوعين من الزوايا، وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن، فزوايا الأرياف تكون مبنية حو لقبر المرابط غير معروف كثيرا ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط. وهذا الموقع يطلق عليه زاوية أولاد فلان، وتكون لهذه الزاوية أوقاف كبيرة من أراضـــي وبســـاتين تطعم منها الفقراء والضـــيوف وحق الزاوية هو العشـر) ويسـمى العشـور ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط ومن مهامها التعليم ولا يقوم المرابط ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية لأنهم مختصون في التعليم وتربية النشء وتعذيب الأخلاق والسلوك[1].

[1] طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البويرة، العدد 14، السنة 2014، ص52.

اشـتهرت منطقة معسـكر في أواخر العهد العثماني بكثرة الزوايا التي كان عددها يفوق عدد المساجد وكان لها خصـوصـيات تختلف عن المسـجد والرباط والمدرسة والمعهد فلكل واحد منها خصوصية معينة ولكن يجمعها الدور الريادي في التهذيب والتربية وترســـيخ روح المعرفية وتوطين القرب من الله وتجســـيد الرابطة الروحية والدينية ومن أمثلة ذلك المدرسة المحمدية التي أسسها محمد بن عثمان الكبير إلى جانب المسجد الأعظم على نسق وشاكلة المدرسة البوعنانية في فاس والمدرسة المستنصرية في تونس والقشاشية في الجزائر[1].

ثم إن المدرسـة المحمدية التي أنشـأها الباي محمد بن عثمان الكبير، هي المدرسة الأولى في العهد العثماني التي تأسست لنشر العلم في منطقة معسكر، وقد جهزها الباي محمد بن عثمان الكبير بمكتبة عظيمة وقاعات للمطالعة وتلقي الدروس كما جهزها بمرقد للطلبة الداخليين وبقربها مطبخ وفرن، وكانت منبرا للعلم على غرار ما كان يتلقاه طلاب العلم في الزيتونة والقرويين والأزهر، وأن العقارات المحيطة بها يستفيد الطلبة والقائمين على المدرسة من مداخيلها.

وقد جاء في مقال للأســـتاذ قرمان عبد القادر، من أن الزوايا والرباطات بمعسكر لها جذور تاريخية تعود لأصول وجذور ضاربة في التسمية[2].

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط 1 1998، ج1، ص 273.

[2] قرمان عبد القادر، الزوايا في معسكر خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، منشورات جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، المجلد 17 العدد 1، ص 790.

ومقال آخر أيضا للأستاذ طاعة سعد يتناول فيه نفس المسألة مع أبعادها التاريخية[1].

ثم إن دور المساجد معسكر التاريخ والمقاومة: تمتلك مدينة معسكر وما جاورها رصيد حضاري وتاريخيها مهم، بفضل طبيعتها وجغرافيتها التي مكنتها من تقديم أدوار مهمة عبر التاريخ من خلال مساهمتها في الإرث الحضاري الجزائري ومواجهتها للاستعمار والتدخل الأجنبي منذ القديم بداية بالتواجد الروماني، وهنا كشواهد للحضارة الرومانية في المنطقة، ثم إن هذا الاحتلال انتهى بظهور الفتوحات الإسلامية، وكان لبعض حواضر مدينة معسكر ـــ كما هو معلوم وتحدثت عنه المصادر دور هام في الإشعاع الثقافي الإسلامي، وفي الفترة الحديثة من تاريخها خضعت للحكم العثماني، وكانت أول عاصمة للإيالة الغربية هي "قلعة بني راشد ثم مدينة معسكر فوهران بعد الفتح الأول سنة 1706م، ثم مستغانم وعادت عاصمة الإيالة إلى معسكر وأخيراً وهران[2].

ولما كانت مدينة معسكر مدينة تاريخية تزخر بالكثير من المواقع، كان من الضروري قبلأن نكشف من خلال البحوث الطوبونيمية عن جوانب كثيرة من زواياها وأماكن طقوس الطرق الصوفية فيها نتعرض لأسماء الأماكن المتواجدة فيها نظرا للارتباط الوثيق بين الأماكن الجغرافية والتواجد للمقامات

[1]طاعة سعد، الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المجلد 05العدد – 10ديسمبر 2019 ، ص 34.

[2]انظر بن داهة عدة معسكر عبر التاريخ، المحبر العلمي للمخطوط، الدار الخلدونية، الجزائر ط1، 2005، ص 56.

والزوايا، وهذا لتأكيد الصلة بين المكان الجغرافي وخصوصيته التاريخية الضاربة في أعماق الزمن.

فمن خلال هذه المعطيات كلها نحاول جاهدين إرجاع هذه الأسماء إلى أصولها وفق على دراسة طوبونيمية، والتي تعتمد غالبا على مسميات ونعوت أسماء القبائل والوقائع والأحداث والأشكال والأوصاف وأسماء الشخصيات والأخبار الخرافية وغيرها مما لا حصر له.

المبحث الثالث: طوبونمية أسماء المواقع بمدينة معسكر.

أولا: التسميات وعلاقتها بالجانب اللغوي.

اعتاد اللغويون ربط الأســـماء بجذورها اللغوية، ولا يمكن الحديث عن الاسم دون البحث عن أصل تسميته، فأسماء المناطق والمواقع بمدينة معسكر لها علاقة بالأصـــول اللغوية، فمعســـكر باعتبارها مدينة تاريخية هي وجميع المناطق المحيطة بها نجد لأســمائها واســم تلك المناطق المحيطة بها أصــولا لغوية وجذور أساسية في ربط الاسم بالمسمى الدال بالمدلول.

فمعسكر المدينة سميت قديما بالراشدية[1]، أما عن أصلها وأصل وجودها، يقول المؤرخون ومنهم أبو القاسم سعد الله أصلها أم العساكر، لأنها كانت موطنا للجيش الفرنســـي. وأن تاريخها يعود إلى العهد الروماني، فهي من أقدم مدن الجزائر كانت قرية صـــغيرة ونظرا لموقعها الاســـتراتيجي اتخذها الرومان مقرّاً لجنودهم وظلت ضمن خطوط الدفاع المعروفة وأطلقوا عليها اسم كاسترانوفا أي "القلعة الجديدة"[2].

أما في القرن السادس الهجري جعلها الموحدون قلعة عسكرية ثم صارت عاصمة الإقليم في عهد الباي مصطفى بوشلاغم، واستمرت مركزا لبايلك الغرب إلى سنة 1791 بعد تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني. وبعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر سنة 1830 عرفت المدينة مرحلة جديدة

---

[1] الهاشمي بن بكار، كتاب الحسب والنسب في الفضائل والأدب في أربعة كتب، المطبعة ابن خلدون تلمسان1961، ص 35.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغريب الإسلامي تونس الطبعة الأولى 1998، ج1 ص 55.

في تاريخها بدخول أهلها في المقاومة بقيادة الشـيخ محي الدين والد الأمير عبد القـادر الجزائري، وبعـد مبـايعـة هـذا الأخير دخلهـا ونزل في دار الحكومـة فأصبحت المدينة حاضرة لإمارته، وبقيت هكذا إلى أن استولى عليها كلوزيل في 6 ديسـمبر 1835 وأحرقها ثم غادرها فرجع الأمير إليها واسـتأنف نضـاله بها وبقيت العاصمة السياسية للإمارة حيث يقيم قنصل فرنسا، إلى أن ارتحل الأمير عنها نهائياً[1].

تقع مدينة معسكر على مشارف جبال بني شقران، ولذلك سميّت بمنطقة بني شـقران كما تعتبر أهم حاضـرة من حواضـر العلم وتزخر مدينة معسـكر بمعالم تاريخية وأثرية تعددت أسـماؤها واختلفت معالمها، وهذه التسـميات مما شـك لها جذور في المعاني، سـواء تعلق الأمر بقراها أومد اشـرها أو أسـماء زواياها وأوليائها، ولهذه الأسماء أصول اعتمدت في تسميتها.

وبعد الاحتلال الفرنسي أصبحت عاصمة لمقاومة الأمير عبد القادر بعد مبايعته سـنة 1932 تحت شـجرة الدردارة، ثم المبايعة الثانية 1933 بمسـجد المسمى اليوم مسجد المبايعة، ودخل أهلها في المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري[2]، بعد أن تم الاستلاء عليها في 6 ديسمبر 1835 في حملة عسكرية بقيادة كلوزيل ودامت المقاومة، وبقيت معسـكر العاصـمة السـياسـية إلى أن غادرها ال أمير 1947.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 57.

[2] شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبي القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر 2011، ص 217.

وفي معسكر كانت هنا كالعديد من لزوايا التي كانت تهتم بالتربية الروحية وتعليم القرآن وعلوم التفسـير واللغة، "ولقد برزت عدة زوايا ومدارس ومعاهد علمية كان لها الأثر في نشر العلم، أهمها زاوية الشيخ محمد السليماني وزاوية الشـيخ محمد المشـرفي وزاوية الشـيخ عبد الله بن عبد الرزاق الادريسـي وزاوية الخضـير الصـنهاجي الأدريسـي وغيرها، وكانت هذه الزوايا تقوم بتلقين مختلف العلوم الخاصـة لعلوم القرآن والحديث والفقه، وتسـهر على إعالة طلابها من خلال ما تتلقاه من هبات وصـدقات من أهل الخير و الإحسـان وما تدره عليها مختلف الأملاك الوقفية[1].

ومن أهم مناطقها التي لها علاقة بأصـول تسـمياتها (القيطنة): هي التي ولـد بها الأمـير عبد القادر وقد ذكرها بالتفصـيل عبد الرحمن الجيلالي في كتابه[2]، زاوية القيطنة توجد هذه الزاوية في قرية صـغيرة على "ضـفة وادي حمام ببوحنيفية أسست من طرف الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي جد الأمير عبد القادر[3]، وسـميت طوبونيميا بذلك للفعل "قَيْطَانٌ" بمعنى نسـيج من الحرير أو القطن أو نحوهما يبرم فيكون كالحبل الدقيق، ومنها الفعل قطن لأن فيها كانت تبنى الخيام ويستقر فيها أهالي المنطقة، وبها أول زاوية لجد الأمير عبد القادر.

[1] علي بن العيفاوي، مدينة معسكرو دورها في العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ لحديث جامعة الجزائر 2008/ 2009، اشرا فد. مريم صغير، ص 113.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة لبنان، الطبعة السادسة 1983، ج2، ص 34.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة لبنان، الطبعة السادسة 1983، ج2، ص 34.

ومنطقة (القعدة): هي منطقة تابعة لزهانة تقع بالشمال الشرقي لمعسكر. ومن أهم سكانها قبائل مهاجة التي تنتمي إلى فئة الأشراف والتي أنجبت الكثير من الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر. والعقدة اشتهرت بإحياء الجلسات في المناسبات الاحتفالية.

وكذلك (المحمدية) الواقعة بإحدى السهول وهو سهل الهبرة وهي مدينة المحمدية بنيت على أطلال مدينة رومانية اندثرت إثر غزوات الوندال في القرن الأول بعد الميلاد. أثناء الحكم العثماني سكنها قبيلة سجرارة وقبيلة البرجية شهدت إحدى ضواحيها (المقطع) هزيمة الفرنسيين أمام جيش الأمير عبد القادر في 26 جوان 1835، وسميت Perrégaux باريقو نسبتا للجنرال الذي مات وتسمية المحمدية نسبة إلى الأمة المحمدية سكنها أيضا قبائل بني شقران وكانت بها ثورة سميت بها ثورة بني شقران في 1917. ومن بين أحيائها القديمة في المدينة هي حي القوادرية وحي القرابة وحي البخايتية وسميت بذلك نسبة لمحمد صلى عليه وسلم.

أما (هاشم) تقع دائرة هاشم في الجنوب الشرقي للولاية، وهي نسبة إلى اهل المكانة والمنزلة في الوسط الاجتماعي تشتهر بزواياها وهي من قبائل الحشم وسكانها الأصليين من الحشم وهم خدم مولى عبد المؤمن بن علي الموحدي الذي جاءوا بعد المرابطين.

أما (بوحنيفية): منطقة جبلية لبني شقران عن توسع ونمو مدينة بوحنيفية: الفترة الرومانية: إن تاريخ مدينة بوحنيفية ليس حديثا بل معروف باكتشاف واستعمال مياهه المعدنية المكتشفة من طرف الرومان–لقد وصل الرومان إلى

مدينة بوحنيفية والدليل هو تلك الآثار المتبقية حاليا وهذا في المنطقة الجنوبية من المدينة، المياه المعدنية كان يعتز بها الرومان مما أدى بهم إلى بناء مدينة عسكرية التي كانت تسمى*أكواسبرنسس. ففي القرن الرابع عشر المدينة أصبحت تسمى نسبة للفاتح–أبوحنيفية–وتوجد قبة له في الجهة اليمنى من واد المنطقة، أبوحنيفية المولود سنة1279ببغداد والذي توفى عن عمر يناهز السبعيين سنة بالمدينة[1].

أما(تيغنيف) فهي إحدى مناطق المدينة التي تقع شمال غرب البلاد. يوجد بتغنيف موقع للحضارة الأشورية وجد به العديد من العظام الحيوانية والبشرية واشتهرت بأقدم إنسان رجل تغنيف. وعاشت المنطقة عهد المماليك المستقلة حيث انضمت للتجمعات البشرية أي عهد (نوميديا)، ولم تحتفظ من مرحلتها البربرية سوى بالاسم (تغنيفين) والتي تتكون من كلمتين معناها بالأمازيغية (تيغ: بمعنى إثنان ــ ونيفين: بمعنى منبع). أما (واد تاغية)، فنسبة تسميتها ترجع إلى نسبة هذا الواد لأحد الملوك الظالمين، والبعض يقول لطغيان الواد وفيضانه.

أما (سيدي قادة) فبها الزمالة وهي زمالة الأمير عبد القادر، المتواجدة في هضبة سيدي قادة التي كانت بها مدرسة قرآنية درس فيها الأمير وترعرع بها وبجوارها حمام الأمير بالإضافة الى صومعة الأمير وصور يحيط بها يعود لتلك الفترة (بداية القرن 19) بني في تلك الفترة. وزمالة الأمير تقع قرية الأمير عبد

[1]توفيق المدني، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 1، ص 80.

القادر التي تضم ضريح سيدي قادة الجد السادس للأمير وضريح، وسميت بذلك نسبة لجد الأمير عبد القادر دفين المنطقة وهو سيدي أحمد المختار الجد السابع للأمير وضريح الأمير سيدي محي الدين والد الأمير عبد القادر وبجواره الأمير محمد أخ الأمير عبد القادر. هذه الأضـــرحة بناها الأمير خالد حفيد الأمير سنة 1913م.

أما (الدار الحمرة) هي منطقة داخل الولاية سميت بذلك لأنها كانت مكانا زمن الفرنسيين لإعدام الثوار حتى أصبحت ملطخة بالدم فأخذت هذه التسمية. و(شجرة الدردارة): لها مفهوم لغوي مرتبط بموضع المبايعة (مبايعة الأمير عبد القادر).

والشيء الذي يجب أن ننوه به أن أكثر هذه المعطيات مستقاة من المعجم الطوبونيمي الذي صـــنعه المجلس الأعلى للغة العربية مع التحري من أبناء المنطقة وبعض البحوث والمقالات التي تكاد تكون نادرة جدا لقلة التوثيق وصعوبته.

إن أكثر هذه المناطق المذكورة ضـــمن أحواز مدينة معســـكر ارتبطت مســـمياتها بالجذر اللغوي نظرا للنمط المرتبط بالمكان والزمان والتأســـيس، وكل منطقة من هذه المناطق في المدينة شـــهدت تواجد المعالم الدينية والتربوية والروحية، واشـــتهرت المدينة وضـــواحيها بتواجد الزوايا العلمية واتخذت لنفســـها أســـماء مختلفة يعود لمؤســـســـها أولا، وللطريقة التي تنســـب إليها ثانيا وهذا هو العامل الرئيسي والأساس في العلامة المؤكدة للتسمية.

وأشـــهر الزوايا التاريخية لمعســـكر وجغرافيتها الممتدة على حدود خمس ولايات، زاوية ســـيدي قادة المعروفة بزمالة الأمير الواقعة في الناحية الجنوبية للمدينة، وأيضا وزاوية القيطنة (زاوية سيدي محي الدين) شمال المدينة، ولهاتين الزاويتين أثر روحي وعلمي وتاريخي ســـجلته منطقة معســـكر في أواخر العهد العثماني وبداية الاستعمار الفرنسي، واستمر عطاؤهما العلمي والروحي، ولكن من بقيت إلى اليوم في مجال تلقين العلم والقرآن زاوية ســـيدي محي الدين بالقيطنة، وقد ذكرها مؤيد صـــلاح العقبي غلى أنها تمثل إشـــعاعا للكثير من العلماء[1].

ثانيا: زمالة الأمير عبد القادر وزاويته (المفهوم الطوبنيمي).

لما سقطت مدينة معسكر على يد الاحتلال الفرنسي سنة 1937، أصبح الأمير عبد القادر مضـــطرا إلى الترحال بجيشـــه وجميع مؤونته إلى مناطق مختلفة خاصة ما بين مدينة معسكر وبين شمال مدينتي سعيدة ومدينة تيارت، وسميت هذه بالزمالة ويذكر تفاصيل ذلك قدور بن رويلة أحد كتاب الأمير عبد القادر في كتابه وشاح الكتائب[2].

[1] مؤيد صلاح العقبي الطرق والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، ص 66.

[2] قدور بن محمد بن رويلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي الجزائر، الطبعة الأولى 2017، ص 31.

موقع الزمالة من خريطة معسكر.

الموقع الجغرافي لزمالة الأمير عبد القادر.

والزمالة ترجع تسـميتها إلى الجدر اللغوي " زمل " مضـارعه " يزمل" من الزمل، وهي كلمة يسـتعملها أهل البادية كثيرا، فهي مأخوذة من اللغة العربية "الزمل" أطلقت في البداية على ذكور الإبل، وعرفها أهل الإبل معرفة تامة على أنها مجموعة من الجمال أقرب ما تكون من القافلة، خاصـة إذا كانت لهذه الجمال عدة استخدامات كحمل هوادج النساء أو في استخدامها للترحال، والزمل أيضـا ما أعدّ لنقل متاع الفرسـان، وفي اللغة الزمل مفرد والجمع منه زمالة وهي

كمعنى عام وشامل تطلق على كل ظهر أعد للنقل، ومن هنا جاء هذا التعريف في معاني اللغة وفي معاجم اللغة العربية[1].

بالإضـــافة إلى دور الزمالة العســـكري فإن لها دور تعليمي تربوي ديني أخلاقي، خصوصا قد حرص الأمير عبد القادر على الوعي الفكري والديني قبل أي شـيء، ومن هنا تعتبر زمالة الأمير زاوية متحركة لكنها اسـتقرت في منطقة سـيدي قادة كاشـرو سـابقا وقريبا من الزمالة ضـريح سـيدي قادة بلمختار الجد الرئيس للأمير، وبالقرب من ضـريح سيدي قادة أيضـا ضـريح أبيه سيدي محي الدين مؤســـس زاويـة القيطنـة المنطقـة التي ولد بها الأمير وترعرع فيها وتعلم المبادئ الأولى للمعرفة على يد والده.

[1] انظر ابن منظور مادة " زمل " لسان العرب، دار الصادر بيروت، ج 2، ص370.

المبحث الرابع: عروش ودواوير منطقة معسكر، والتسمية الطوبونيمية.

من خلال الاطلاع على بعض الوثائق والمقالات والمصـادر الشـفوية أن مدينة معســـكر كانت عام 1897 عبارة عن دائرة تابعة لمقاطعة وهران، وهذا تبعا للأرشيف المسجل على مستوى بلدية معسكر ومن خلال السجلات الإدارية فكانت وهران تضـم أربع بلديات وهي: معسـكر، سـعيدة ، فرندة، كاشـرو، وكل بلدية من هذه البلديات تضـــم مجموعة من الدواوير والقبائل التابعة لها، فبلدية معسكر تضم ما يلي: سجرارة، بني نسيغ، فراقيق، بني خميس، فروحة، القيطنة، بحورات، ســـيدي بن حنيفية، أولاد ســـعيد، ملغير، افكان، قرجوم، حجاجرة، البنيان، ماقضــة، عين الدفلة، سـيدي بن موسـى، زلاقة، ماوسـة، اولاد سـيدي دحوا، القيطنة، افكان، قرجوم، البنيان، زلاقة، عين الدفلة، ســيدي بن موســى، ملغيغ وكلها تتفرع طوبونيميا على فروع وأماكن كثيرة..

أما بلدية ســعيدة فكانت تضــم الدواوير أو القبائل التالية: ويزغت، اولاد هونت، ســـوق البرباطة، تافرنت، أم الدباب، تيفريت، عين الســـلطان، عيون البراني، نزرق، ترسين، معاليف، وبية، دوي ثابت.

أما بلدية كاشـرو فكانت تضـم الدواوير أو القبائل التالية: محاميد، أوزالل، ترنيفين، الهنايجة، البرج، تمازنية، نسـمط، أولاد حداد، أولاد العبد، وأولاد التات، حبوشة.

أما بلدية فرندة فكانت تضــم الدواوير أو القبائل التالية: حوارث، غوادي، بني وينجل، بن حليمة، مقرانيس، محودية، ديليا، لوحو، مدغوســـة، بورومان، حسينات، مادنة، كسالنة، قرشة.

أما ما يهمنا هنا قبائل معسكر، فهي تضم مجموعة من العروش والقبائل موزعة جغرافيا، وهي كما أشـــرنا ســـابقا، وكل عرش يتوزع على مجموعة من الدواوير.

فـدوار ســـجرارة يتوزعون على مجموعـة من القبـائـل والعروش، وهي البراكنية، القلايلية، أولاد ســيدي الهاشــمي، بني تيمي، اولاد عمر، اولاد الحاج معمر، مخاليف، أولاد بومعزة، اولاد قدور، شبابنة، اولاد الشريف، عبد الوهاب، اولاد مبارك، اولاد طيب، عبابدة، اولاد سيدي حمادوش.

ودوار بني نسيغ يتوزعون على مجموعة من القبائل والأعراش وهي: أولاد صــغير، أولاد يحي، أولاد بن شــنان، أولاد بن دحو، أولاد بن عثمان، الجبابرة، أولاد بن سليمان، أولاد خليفة، الحدايدية، براهمية.

ودوار الفراقيق يتوزعون على، اولاد الشيخ، أولاد خليفة، فراقيق، بوعشرية، زروالة.

ودوار بني خميس: يتوزعون على معايزية، أولاد قادة، أولاد سـيدي يحي، الجبابرة، أولاد مريان، أولاد ســيدي البشــير، القلايلية، أولاد دحو، أولاد محمد، العمايرية، المعايسية، الحسونات.

أما فروحة فهم يتوزعون على أولاد بهيليل، أولاد بن عودة، الفراطســـة، العيايدة، الكرارمة، البقايرية، كواطرية، أولاد بن ستي، أولاد بوعزة، أولاد صافي، أولاد البشير، أولاد البقرة، أولاد سيدي بن عبد الله، أولاد سيدي بن عبو بلحاج، أولاد سيدي بن عبو سنوسي، خواجة، فكايفية، أولاد زروقي، أولاد سيدي البشير، أولاد سيدي بن عبد الله.

بحورات يتوزعون على بكاكرة، أولاد سـيدي أعمر بن ميمون، بحورات، مهانين، كسلنة، أولاد عيسى، حزات.

أما سيدي بن حنيفية يتوزعون على عواشرية، عمارنة، سواهنية، كرارمة، شرفة دروني، شرفة ولاد جلول، شرفة ولاد الهاشمي، أولاد موسى، أولاد حوة، أولاد بن سـعد، جلايلية، أولاد بن سـعدون، حمامدة، قرايعية، أولاد بن عمر، لوايمية، أولاد بن يوب، قواسمية، أولاد عبد الرزاق، أولاد سيدي يوسف، لبعانة، أولاد بلحسل، متشيلة، الحسارة، أولاد محمد بن عسري، أولاد علي بن عومر، صـحورية، أولاد الحاج يحي، مواليد، أهل سـنوسـي، شـرايبية، أولاد سـيدي العربي،الشراحنة، العياينة.

أما أولاد سـعيد فهم يتوزعون على أولاد بلحسـنة، تخوارت، صـنهيجة، الحمايدية 1، الحمايدية 2، أولاد سيدي يحي، أولاد بوهلال، العرايبية.

أما ماقضـة فهم يتوزعون على، أولاد سـيدي حبيب، مكاريف، أولاد بن خدة، أولاد سيدي العيد بن عبد القادر، أولاد سيدي العيد بن مختار، أولاد علي بن دحمان، أولاد سيدي عبو، أولاد سيدي العيد بن مصطفى، عطاحتة، أولاد سـيدي عريبي، أولاد عبد الوهاب، أولاد سـيدي لعرج الفرايحية، لفراردة، أولاد سيدي بن قدور، أولاد سيدي بغداد، أولاد سيدي محمد، أولاد تراري، مزازغة، أولاد بن عيسى، كنانسة.

أولاد سيدي دحو يتوزعون على العروش التالية: أولاد سيدي مصطفى بن بشير، أولاد سيدي البشير بن أحسن، محاحلة، أولاد عبد الرحمن، أولاد بن حمو، أولاد سيدي الحاج محمد، أولاد سيدي السنوسي، أولاد سيدي بن عبد الله،

القراشـلة، أولاد بوهلال، أولاد ويس، أولاد سـيدي احمد بن البشـير، أولاد سـيدي احمد بن يوسـف، أولاد بوخلوة، أولاد بن كسـو، أولاد بن عبو، العمايرية، أولاد سيدي احسن، أولاد سيي عبد الرحمن بن احسن.

أما ماوسـة فهم يتوزعون على :أولاد الشـيخ، زناندة، أولاد العوفي، أولاد زمـاني، قعيديـة، مزاينيـة، أولاد قـادة، الزاويـة، أولاد سـيدي بن حوة، جبـابرة، مجايدية، أولاد سيدي تامي، أولاد سيدي جيلالي، أولاد حمو، مخاليف، براكنية، أولاد ويس، سـحانين، أولاد سـيدي الهاشـمي، حوايات، العرايسـية، أولاد مختار، أولاد امبارك، أولاد سـيدي حسـين، أولاد سـيدي علي، أولاد سـيدي طاهر، أولاد سيدي محمد، لعزارة.

ومن قبائل معسـكر أيضـا المسـجلة سـنة:1897 فمنها القيطنة يتوزعون على: العقلة، الفراقيق، أولاد دادي، أولاد سيدي بوخاري، أولاد سيدي بن اعمر، أولاد سـيدي بلخير، أولاد سـيدي العربي، صـحاب سـيدي علي، معاطلية، أولاد سـيدي سـعيد، أولاد سـيدي الطاهر، الرحامنة، أولاد بن قويدر، أولاد بن اعمر، محافيظ، المهادة، المقاطفة، الحجاجرة، أولاد اعمر، بوعلة، أولاد علي شـريف، العثـامنيـة، مزاورة، أولاد علي بن دحو، أولاد بوثلجـة، أولاد بن فروحـة، حراث،ملايتية، أولاد بن يخو، أولاد عيسى، اورغية، كراطة.

أما افكان: يتوزعون على أولاد مراح، أولاد الحاج علي القور، أولاد زماين، أولاد بوعلام، الحواوسـة، أولاد بلقاسـم، أولاد رفافة، أولاد بن سـعيد، أولاد الحاج الحبيب، مهاجة، أولاد سيدي الهاشمي، أولاد سيدي ويس، أولاد سيدي الطاهر، أولاد الماحي، لجوار.

أمـاقرجوم يتوزعون على أولاد عـابـد، أولاد بن عطـا، أولاد الجيلالي، الكرابطية، أولاد بغداد، أولاد نجادي، أولاد بن عتو، أولاد بن ديدة، ريغة، بواحة، أولاد صـحراوي، أولاد بوضـربة، أولاد بلهاشـمي، أولاد وزان، أولاد محمد، زلاطة، أولاد سـيدي بليل، أولاد علي بن عيسـى، أولاد بن فاخة أولاد شـارف، أولاد قادة بن فريحة، أولاد بومزورة، الغوادنية، أولاد مراح، أولاد عبد القادر بن عابد، أولاد ملوكي، أولاد بن ميرة، أولاد عيسى، الفراعنة، أولاد ماتسق.

أما البنيان فيتزعون على القبائل التاليةأولاد بو عبد الله، أولاد بوسـنوسـي، أولاد امحمد، أولاد حدو، أولاد احمد، أولاد صـحراوي، أولاد حبادي، أولاد بوعلي، البكاكرة، أولاد رايس، أولاد بن يحي، أولاد مراح، أولاد سـمير، أولاد بن يحي بن مصـطفى، أولاد بن يحي بن محمد، أولاد بن يحي بن عبد القادر، أولاد زماني، تقاقرة، أولاد بن ناصر، أولاد مصطفى، أولاد بوحلوان، أولاد عدة، بوعريش، أولاد بن خدة، أولاد موسى، أولاد بركان، أولاد الشهبة، أولاد بومدين، الوعيدية.

أمـازلاقـة: فهم يتوزعون على:أولاد دبلاوي، أولاد كبير، أولاد بن جلول، أولاد العيبي، أولاد سـنوسـي، أولاد بو عامر، خرارزة، أولاد بن دادش، أولاد الشـيخ، أولاد بن شـيكر، أولاد بركان، أولاد بوعمامة، أولاد غنو، أولاد القطني، أولاد احسن، أولاد عدة.

أما عين الدفلة: فهم يتوزعون على: القدادرة، أولاد الجيلالي، أولاد عبو، أولاد خيرة، أولاد الحاج بن احمد، أولاد مغراوي، أولاد العربي، أولاد احمد، أولاد علي مسـعود، الحمويا، أولاد البشـير، أولاد عبد القادر، الدعالشـة، أولاد بن عيسى.

أما ســـيدي بن موســـى: فيتوزعون على: أولاد احمد بن جحلاط، أولاد العبان، أولاد سيدي علي بن خدة، أولاد بن عثمان، أولاد بن صالح، أولاد سيدي يوســـف، الخرايســـية، أولاد بلحاج حبيب، أولاد ماحي، أولاد الحاج علي، أولاد العوني، أولاد ســـيدي مصـــطفى، أولاد بلحاج، أولاد بن حبارة، أولاد محمد، الزوانب، قدايرية، صـواوقة، كفافسـة، أولاد مخروف، معايزية، أولاد مهني، أولاد دحو، أولاد البشير، أولاد بوسعدية.

أما المحاميد فيتوزعون على جعادرية، أولاد موســـى، أولاد عبد الرحمن، أولاد لقرع، أولاد سـيدي صـافي، أولاد بورميك، أولاد بن موسـى، أولاد بن عمر، أولاد ميمون، رمايلية، أولاد بلعباس، خنايثية، عرايسية، أولاد جلول، أولاد براهيم، مزايدية، برايكية، أولاد سـيدي بومدين، مخاليف، قراشـلة، أولاد سـيدي بن زرقة، حمايدية، مدايزة، بني معلي، أولاد عابد، أولاد ســيدي عبد الله، قروزات، زقاقتة، أولاد ســيدي البشــير، أولاد ســيدي بن يحي، أولاد ســيدي دحو، أولاد ســعد، دغامنيـة، دحـامنيـة، أولاد عبـاس، أولاد ســـيدي بن خدة، أولاد العـاقب، أولاد عيسى، أولاد علي، أولاد بوشامة، أولاد شاوي، عمايرية.

أما الهنايجة يتوزعون على عزايزية، الطرش، كرابشـــين، زقاقدة، زواونة، غلالسة، العوالم، أولاد موسى، أولاد مراح، أولاد بوهدير، بني رشيد، قدادرة.

أما البرج فهم يتوزعون عل سـمايشـية، أولاد سـيدي الطاهر، قشـاشـية، خماميس، خلوية، الكرابشـــية، مباركية، أولاد بوحامد، الكرارمة، أولاد بوجلال، بلاغة، بطيوة، زرادلة، درب جديد، أولاد ســـلامة، مخافة، طرش، العبادلية، الهواورة، زعاقنية.

أما تمازنية فهم يتوزعون على الحمر، ســـمايحية، الزوى، أولاد علي، عبادلية، الســهايلية، الرحايحية، أولاد سـيدي بن سـعد، زرامة، تافرنت، بهاليل، ستارسة، جفافلة، أولاد الحاج، موالك، الكحل، سدادكة، أولاد قنون.

أمانســمط فيتوزعون على أولاد ســيدي صــافي، دبايلية، أولاد بولخف، حزازطة، زقاقنية، أولاد عبد الله، أولاد حسان، الحوالة، أولاد سيدي دحمان، أولاد سيدي لهار بن عبد الرحمن، أولاد بوشنتوف، أولاد سيدي محمد الشرقي، أولاد سيدي الطاهر بلبشير، بني بردعة، قراينية، أولاد بوزيان.

أماحبوشــة فيتوزعون على أولاد جلول، أولاد بن دوخة، أولاد الطيب، أولاد سيدي البشير، أولاد مبروك، أولاد بن دوبة، العماريش، أولاد الحاج، أولاد محمد، أولاد بوعلام، أولاد دلة.

وتذكر المصـــادر مع البحث الميداني ابتداء من ســنة 1732 اســتقرت بساحة معسكر خاصة من الجهة الشرقية فروع قبيلة الزمالة والغرابة والمكاحلية والدواير وفروع أخرى مختلفة قادمة من وهران وأحوازها بعد ســـقوطها في يد الإســبان وانتشــرت هذه القبائل في المنطقة من جبال بني شــقران مرورا على أطراف الشـرقية للمدينة إلى سـهل غريس من فروع هذه القبائل أغلبها من قبيلة الزمالة التي تتكون من قبيلة المخاليف، فرع قبيلة القدادرة، فرع قبيلة القرايدية، فرع قبيلة الوراردية، فرع قبيلة اليساسفية، فرع قبيلة الشوايلية، فرع قبيلة الونازرة، فرع قبيلة المعايزية، فرع قبيلة المخاترية، قبيلة المكاحلية، قبيلة الغرابة فهممنهم من استقر لمنطقة أسلافه وأغلبهم استقر للدفن والإتباع لجوار سيدي دحو بن علي بن عثمان ومنهم من اســتقر لدفن والإتباع لســيدي احمد بن عربية ومنهم

استقر لدفن والإتباع لسيدي بن يخلف ومنهم من استقر لدفن ولاتباع لسيدي احمد بن علي ومنهم من استقر لدفن ولاتباع لسيدي قادة بلمختار ومنهم من استقر لدفن والإتباع لمقابر مجاورة للمنطقة منهم مقابر المدينة وكل هذه القبائل لها فروع تفرعت منها وخرجت منها دواوير وألقاب عائلية أغلبها معروفة بمعسكر خاصة المنطقة المحددة سابقا.

المبحث الخامس: معجمية الزوايا المعسكرية قراءة في الجذور من المنظور الطوبونيمي.

الدارس للزوايا لا تقف دراسته على الجانب المتعلق بالدور الديني فقط، وإن كان هذا هو السائد في أغلب البحوث والذي ركزت عليه الدراسات الصوفية، وهذا جانب لا يستهان به، ولكن الجانب الطوبونيمي والطبوغرافي له أهمية بالغة، فالزوايا في منطقة من العالم الإسلامي فلها أصول وقواعد في تأصيل اسمها المرتبط بوجوده ان وفي هذا المبحث لا بد من الإشارة إلى زوايا مدينة معسكر وضواحيها وترتيبها معجميا والتدليل عليها.

وقلما نجد موقعا كان السبب في رسم رقعة المدينة وتحديد مكانها وإنما الذي نجده هو العكس، أي أن المدينة أو القرية هي التي تعمل على تطوير نفسها حسب الموقع الذي أنشئت فيه ثم تمت وتوسعت عليه، ولا بد من الإشارة إلى أن المدية أو القرية التي تنمو في موقع ذي صفات خاصة لا مندوحة لها من أن تتأثر بهذا الموقع[1].

وعليه فالموقع أو الموضع هو وضع المدينة إلى الوسط الجغرافي وعلى هذا الأساس فهو مفهوم مركب يمكن أن يتغير حسب التطورات التاريخية، ويعتبر هذا النوع من الدراسة الذي يمكن أن يجري بسهولة تامة على الخرائط الطبوغرافية من العناصر الهامة في الدراسات العلمية للجغرافية البشرية ومن هنا نرى أن الزوايا غالبا قامت بمنآى عن التجمعات البشرية أو الأماكن

[1] ج تريكار مدخل إلى الأعمال التطبيقية في الجغرافيا ترجمة حليمي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص73.

المعزولة، وهي عوامل مساعدة في الأهداف التي نشأت لأجلها الزوايا في مدينة معسكر وضواحيها، وأن أكثر التجمعات العمرانية المحاذية في الغالب نشأت بعدها ابتغاء أصحاب هذه المساكن البركة بمجاورتها والاستعداد لخدمة أهلها من الشيوخ وطابة القرآن والعلم الشرعي، ولا شك أن نمو هذه الزوايا تطور بنمو المدينة فمدينة معسكر مثلا وقع بينها وبين الزوايا المنتشرة فيها تفاعلا إيجابيا في أداء الوظائف وتظهر هذا التوسع أولا في الخريطة التي توضع المدين أي مدينة معسكر وأريافها.

أولا: الزاوية القادرية للأمير عبد القادر زاوية القيطنة (نظرة طوبونيمية).

ينتمي الأمير عبد القادر إلى الزاوية القادرية وهي الزاوية التي بناها جده محي الدين بمنطقة القيطنة التي تبعد عنها بحوالي ثلاث وعشرين كلم شمال الموقع الرسمي للمدينة والتي كانت محلا لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم علوم الشريعة كالفقه والعقيدة والأصول والحديث، وأيضا علوم اللغة العربية، ولكن دورها الرئيسي تهذيب الأخلاق والسلوك والتصوف، وعلوم اللغة[1].

وقد تطرق الكثير من الباحثين عن تلك العلاقة بين الزاوية التي اتخذها محي الدين والد الأمير عبد القادر مدرسة وبين الطريقة القادرية القادرية، التي كما قال يحي بوعزيز:" لقد قدر لها أن تنتشر انتشارا واسعا في بلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا، وتفرعت إلى عدة فروع على رأسها الشاذلية والدرقاوية

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، دار بني مزغنة للنشر والتوزيع الجزائر، 2016، ص 201.

والشـــابية"[1]، وكان من الذين ســـاعدوا على انتشـــارها هو أبو مدين شـــعيب بن الحسين الإشبيلي الأندلسي (ت 594هـ) دفين حيّ العباد بتلمسان، وحدث هذا حين أدائه لفريضـــــة الحج وتعرف عليه ولازمه بعض الوقت ودرس عليه علم الحديث والتصوف وتحصل منه على خرقة الصوفية وأسرار التصوف[2].

والقادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني صاحب كتاب الفتح الرباني الذي شرح فيه السلوك الصوفي وتهذيب الروح[3]. ولها طريقة تعتمدها في الأذكار[4].

أما معنى الزاوية في اللغة الركن والقصـــد هو الركن الأســـاســـي للفعل الروحي للزاوية التي هي المأوى الروحي للمتصـــوفين والعارفين بالله والمنقطعين للعبادة.

وتجدر الإشـــارة أن محي الدين والد الأمير عبد القادر (ت 1833)، تتجســد رؤيته الصــوفية من خلال تكوينه الروحي والعرفاني فقد تولى مشــيخة زاوية القيطنة بعد وفاة والده مصطفى بن مختار سنة 1797 فقد كثر في عهده المريدين والطلبة، كما كانت زاويته ملاذا للفقراء والضــعفاء والمظلومين، أما من ناحية الســـلوك فقد ترك تأليفا جمع فيه ما انطبع فيه من ســـلوك ونقله لطلبته

[1] يحي بوعزيز، مقال بجريدة الأحرار العدد 111، الأربعاء 08 جويلية 1998، ص3.

[2] انظر عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، ص 17.

[3] انظر عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الكتاب العربي 1980، ص 27.

[4] يوسف خطار محمد السيرة المرضية مؤسسي الطرق الصوفية، دار المناهل سوريا، الطبعة الثانية (د ت)، ص 66.

ومريديه ومنهم إلى شقيقه أبي طالب وابنه عبد القادر، خاصة حين يتحدث عن الفقر ومراتب العباد وفضل الذكر ومجالسة أهله[1].

زاوية سيدي محي الدين بن مصطفى بن المختار الراشدي.

ثانيا: زاوية أبي راس الناصري.

زاوية أبي راس الناصـــــري: هي من أقدم الزوايا[2]، تقع زاوية أبي راس الناصري في حي باب علي العتيق، وبالضبط في شارع الأمير عبد القادر من الجنوب نبذة تاريخية عن الزاوية: تأسست هذه الزاوية أيام حكم الباي المشهور محمد الكبير، غير أنها لم تنل الشهرة كباقي المنشآت الدينية والتعليمية الأخرى، وبقيت على هذه الحالة إلى غاية حكم الباي مصطفى العجمي في ولايته الثانية، الذي أعاد بناء وتجديد هذه الزاوية ووسعها، حسب ما ذكره شيخ الزاوية "أبو راس" في كتابه "فتح الإله"[3] في سنة1222هـ / 1808م، بالإضافة إلى أن الباي

---

[1] انظر محي الدين لن مصطفى إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين تحقيق صلاح الدين بن نعوم، دار السادة المالكية الجزائر ط1، 2022، ص 83.

[2] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، ط1 2002، ص 112.

[3] انظر أبا راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث في فضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص50.

محمد بن عثمان الملقب بـــ "بوكابوس قام بتبييضها وترميمها في سنة 1227هـ الموافق لـ1812م. ولما توفي العلامة في سنة 1238هـ حوالي1823م دفن بهذه الزاوية، وأصبح ضريحه علما على المكان، وهذه الزاوية عبارة عن مجمع غلمي يتوافد عليه العديد من طلاب العلم والمعرفة.

المظهر الخارجي لزاوية أبي راس الناصري

إن من أبرز زوايا مدينة معســـكر ونواحيها ما هو مشـــار إليه في هذا الجدول، والذي نكاد نجزم من خلاله أن معســـكر مدينة عرفت إضـــافة على إشعاعها الحضاري والتاريخي وأنها مدينة مقاومة فهي إلى جانب ذلك مدينة لها بعدها الديني والروحي والإنساني

ثالثا: جدول بأهم زوايا معسكر

اسم الزاوية	المؤسس	تاريخ التأسيس	مركزها
زاوية الشيخ سي بلحول	الشيخ سي بلحول	//	دوار زوى هاشم
زاوية سيدي محي الدين	العلامة مصطفى بن المختار	منتصف القرن 18	القيطنة
زاوية الدراويش	الشيخ علي الأعرج البنعلي	منتصف القرن 19	دوار الدراويش

زاوية سيدي بوسكرين	العلامة أبو زكريا السليماني	القرن 15 م	معسكر
زاوية سيدي بن عبد الله	العلامة بن عبد الله شنتوف	1887م	حي بابا علي
// نجم الدين الحسني	الشـــيخ نجم الدين بن يحي الحسني	القرن 19م	زلامطة
القادرية	الشيخ أحمد بعطوش	مطلع القرن 20م	سيدي قادة
زاوية سيد احمد بن علي	ســـيدي احمد بن علي بن عيسى	القرن 16 م	ضريح المؤسس
// ســـيدي امحمد بن يحي	ســـيدي امحمد بن يحي السليماني	القرن 15م؟	ضريحه؟
زاوية الشيخ المشرفي	ســيدي يوســف بن عيســى الحسني	//	الكرط
زاوية أبو راس الناصر	العلامة أبو راس الناصر	نهاية القرن 18م	معسكر
// سيدي دحو	العلامــة عبــد الرحمن بن عثمان	//	راس الماء؟
// الطيبية	الشـــيخ محمد الصـــغير البنعلي	القرن 18م	معسكر
الشيخ عبد الله الإدريسي	الشـــيخ عبد الله عبد الرزاق الإدريسي	//	//
زاوية سيدي قادة	العلامــة عبــد القــادر بن المختار	القرن 18/17م؟	سيدي قادة

// سيدي الهاشمي	العلامة لهاشـــمي بن علي بوشنتوف	القرن 18م	بمقبرة المعني
زاوية الشيخ البشير	الشيخ البشير	معاصرة	المامونية

ولتحليل ما تقدم يمكن إحصـاء أولا الطرق الصـوفية المتواجدة في مدينة معســكر وبقية ضــواحيها، ويمكن إجمالها في الطرق التالية الطريقة القادرية والدرقاوية والحبيبية والتيجانية والعلاوية والهبرية، وكلها من الطرق القديمة التي تعود إلى الطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي، الذي يعتبر علما من أعلام التصوف وقطبا من أقطابه[1].

[1] انظر ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1999، ص 55.

المبحث الســـادس: الزوايا وطرق التصـــوف في حاضـــرة معســـكر وطوبونيمية الأسماء.

خريطة موضحة لزوايا ضواحي معسكر.

ظهرت في مدينة معسـكر مجموعة من الطرق الصـوفية والتي على إثرها تم تأسيس الزاوية كمكان يحتضن هذه الطريقة ويحافظ عليها، وينشأ مريدو هذه الزاويـة أو تلك على هذه الطريقة في إتبـاع أورادها وحفظها وتكرارها وتلاوتها، ونهج السلوك والتربية الروحية التي تنشأ عليها هذه الزاوية أو تلك، وهذه الطرق كثيرة ومتنوعة لكن نحاول قد الاسـتطاعة حصـر الطرق الصـوفية التي عرفت تواجدا في حاضـرة معسـكر، ومن أمثلة هذه الطرق التي عرفتها مدينة معسـكر الطريقة القادريـة والتجانية والعلاوية والدرقاوية والطيبية والهبرية، وهذه الطرق نشـطت في مختلف زوايا المدينة ـــ التي سـوف نأتي على ذكرها، وكلّ الزوايا مجتمعة لها نهج صـــوفي واحد، لكن الاختلاف لا يكون إلا في الأوراد وعدد ذكر هذا الورد أو ذاك، غير أن المشترك بينها هو ورد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومعظمها أوراد مأخوذة من الصلوات والدعوات التي جاءت على لسان أبي الحسن الشاذلي[1].

[1] انظر ابن الصباغ، درة الأسرار، وتحفة الأبرار، في أحوال وأفعال وأحوال وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبي الحسن الشاذلي، مكتبة الفجر الجديد القاهرة مصر، ص19.

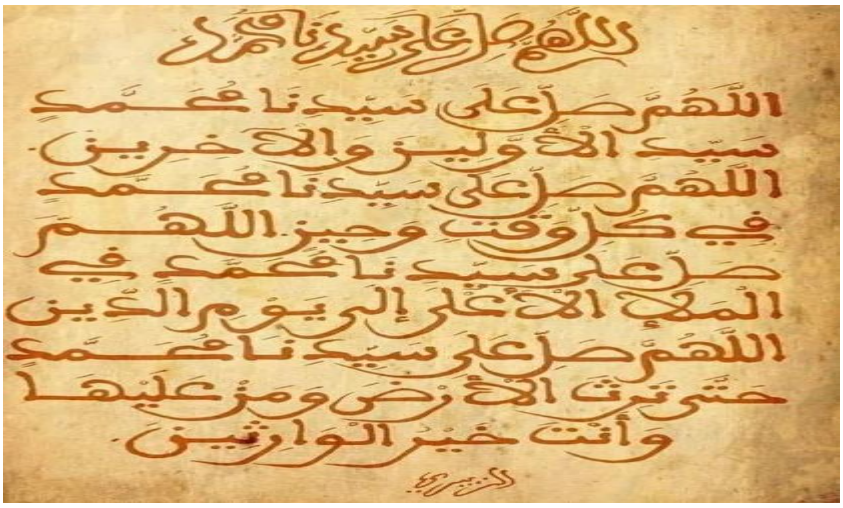

فالطريقة القادرية تنسب إلى عبد القادر الجيلالي أو الجيلي نسبة إلى مدينة جيلان (ت 1166هـ)[1]، وهي حسب المهتمين أحد الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني(471)هـ (561)هـ وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقي وشمال أفريقيا. وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وآسيا، وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي. الدارسين أول طريقة صوفية كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن الجيلالي[2]، ولعلّ رسوخها في مدينة معسكر راجع إلى التزام محي الدين وابنه الأمير عبد القادر الجزائري ومنها زاوية الشيخ محي الدين بالقيطنة التي أسسها حوالي 1200هـ وذلك بعد زيارة الشيخ محي الدين

[1] هو العارف بالله الصوفي الزاهد الحنبلي المتوفي عام 562هـ، من مؤلفاته الغنية في التصوف، الفيوضات الربانية في الأوراد القادرية، أورد ترجمته الحاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ج5، ص 596، وأورد ترجمته أيضا خير الدين الزركلي في الأعلام دار العلم للملايين بيروت ج4، ص47. وعبد الوهاب الشعراني في الطبقات الكبرى دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، ص 108.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت ط5 1983، ج3، ص 88.

ضـــريح عبد القادر الجيلاني ببغداد أثناء حجه، وقد توفي الحاج مصـــطفى جد الأمير في عين غزالة قربة درنة بليبيا أثناء عودته من الحج للمرة الرابعة وتولى أمر الزاوية بعده ابنه محي الدين وهو الذي بدوره ســعى لتكوين ابنه الأمير عبد القادر وتلقينه الطريقة القادرية الذي اســـتمر على نهج والده[1]، أما كيف تم انتشارها في الجزائر خصوصا وكيف وصلت إلى المغرب العربي عموما كان كما جاء في العديد من الدراسات على يد أبي مدين شعيب التلمساني (ت589 م) الذي اجتمع بالشـــيخ عبد القادر الجيلاني بمكة المكرمة وأكمل ســـلوكه الصوفي على يديه[2]، كما انتشرت القادرية في مصر والأندلس أيضا وازدهرت العديد من زواياها في الوطن الإســـلامي، ومنه أيضـــا في الجزائر وفي الغرب الجزائري على الخصـــوص. ووجود قباب منتشـــرة بكثرة تنســـب إلى عبد القادر الجيلي في معسكر وضواحيها ضافة دليل على رسوخ هذه الطريقة وتأصيلها في مدينة معسكر.

يمثل هذه الطريقة في معسكر الراشدية، محي الدين والد الأمير ثم خلفه الشـــيخ قدور بلحول وهي الواقعة بالحي العتيق _الطرق الكبيرة حاليا، وقد ساهمت هذه الزاوية في تحفيظ القرآن كما كانت مسجدا لأداء الصلاة الفريضة، وتعتبر الطريقة القادرية أقل الطرق تعصـبا وأكثرها تسـامحا، على كعس بعض

[1] انظر محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي المطبعة التجارية بيروت، ح 1، ص 611.

[2] عبد الجليل ساقني، الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 9 العدد 18، السنة 2019، ص 151.

الطرق التي أنه لا خلاص ولا نجاة للعبد إلا بأورادها واتباعها[1]، وحول هذا الموضوع موضوع الطريقة القادرية أجمع الباحثون والمهتمون بطرق التصوف على أنها إحدى الطرق الصوفية التي تميز بمنهج تربوي تعليمي منبثق من تعاليم الدين الإسلامي، سطر معالمه فقيه وعالم ووجد من الأتباع والمهتمين من يسلك منهجه ذاك، والطرق الصوفية عموما هي ظاهرة دينية اجتماعية تم الحديث عنها ودراستها كثيرا من المسلمين وغيرهم من أجل فهم هذا الدين وخباياه خصوصا أن الحديث عن الطرق الصوفية، والتصوف يحتاج إلى نوع من التركيز والتأني الدائمين حتى يستطيع القارئ أو الباحث فهم الفعل والسلوك لدى المتصوفة عموما، وسنقتصر في بحثنا هذا على دراسة تاريخ الطريقة القادرية باعتبارها منهجا في التصوف بالجزائر، فيقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: طريقتنا هذه مبنية على الكتاب السنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان"[2].

ويضيف قائلا أيضا في مقام آخر: "اعلم أيها المحب الكريم وفقنا الله وإياك أن أصل الطريق مبني على كتاب الله عز وجل وفرائضه ثم السنن الشريفة الواردة عن خير البرية ثم الحث عل مكارم الأخلاق التي جاء بها نبينا

[1] جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2003، ص 66.

[2] عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، منشورات الجمل بغداد ط1 2008، ص 198.

ليتممها لنا"[1]. وكذا استدل الكثير بمقامات القادرية ومقامات مؤسسها ظاهرة في التصور والمنهج الذي تتبناه[2].

أما بخصوص الأوراد والأذكار الخاصة بالطريقة القادرية: فهي كثيرة وقد قيل إنه يوجد نيّف وسبعين وردا، كلها منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني أصولها قادرية وزاد عليها بعض المشايخ الكبار من شيوخ الطريقة[3]. من بين هذه الأذكار الجليلة نذكر منها الورد القادري المشهور عندنا وهو أن يقول الطالب كل صباح ومساء بعد صلاة الصبح والعصر: بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب ولا إله إلا الله وأستغفر لله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه كل ذلك مائة مرة. وقد اهتم العديد من الدارسين بهذه الطريقة وخصصوا لها ملتقيات لمدارسة ما تحويه هذه الطريقة من قيم روحية وتربوية[4].

الطريقة الطيبية وهي فرع من الشاذلية[5]، نشأت أول الأمر في وزان بالمغرب ومؤسسها الشيخ عبد الله الشريف بن عبد السلام بن مشيش وانتشرت

[1] عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص 235.

[2] عبد الجليل ساقي، الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 19 العدد 18 السنة 2019 جامعة سكيكدة، ص 155.

[3] الحاج اسماعيل القادري، الفيوضات الربانية، في المآثر والأوراد القادرية، (د ت). ص 12.

[4] انظر ملخص عن الملتقى الوطني الثالث للطريقة القادرية،13/15/ماي2008 بعنوان التربية الروحية في الطريقة القادرية بالزاوية القادرية بالرويسات وجامعة قاصدي مرباح.

[5] انظر ابن الصباغ، درة الأسرار، وتحفة الأبرار، في أحوال وأفعال وأحوال وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبي الحسن، ص44.

في مصـــــر والجزائر وعرفت بالإكثار من الصـــــلاة على النبي المختار، ومن أقطابها الشيخ الجازولي صاحب دلائل الخيرات[1].

أما الطريقة الدرقاوية مؤســـســـها الشـــيخ العربي الدرقاوي (ت 1823م)، وانتشـرت هذه الطريقة في غرب الجزائر، ومن فروعها الطريقة العلاوية التي لها أتباع في الجزائر وتونس والشـــام وشـــيخها هو أحمد بن مصـــطفى العلاوي المســـتغانمي (1934م) والطريقة الهبرية الشـــيخ الحاج محمد الهبري المتوفي بنواحي مغنية سنة 1899م.

أما الطريقة التجانية[2]، تعود نســبتها إلى أحمد بن محمد المختار التجاني المولود بعين ماضـــي القريبة من مدينة الأغواط، وانتشـــرت ولها أتباع في المغرب العربي وفي افريقيا وخصــوصــا في الســنغال، أما فيما يخص تواجدها بمنطقة معسـكر فإنه كان ضـئيلا، ولم تسـتقطب أتباعا ووجوده القليل المحتشـم بمعسكر كان بعد سقوط مدينة معسكر بيد الفرنسيين عام 1941م أي في بداية القرن العشـرين، ويذكر بعض المؤرخين أن ذلك بسـب تأييدها للفرنسـيين ضـد الأمير عبد القادر ومناهضـــتها للحكم العثماني[3]،واتخذت من مســـجد أبي راس

[1] محمد بن سليمان الجزولي، دلائل الخيرات ومعه مجموعة مباركة من الآيات والأوراد والأدعية والقصائد، اعتناء محمد بن ماجد الخطيب، دار نور الصباح، بيروت ط1 2012، ص33.

[2] كان أول ظهورها في مدينة فاس المغربية سنة 1792، انظر جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2003، ص 67.

[3] علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية، لنشر والتوزيع الجزائر طبعة خاصة 2013، ص 50.

مكانا للتدريس، ولما تزايد نشاطها أسس لها أحد الأتباع مقرا بباب علي شارع سيدي بن عبد الله بمعسكر وانتشرت مبادئها عبد القادر بوراس[1].

أما بخصوص الطريقة الدرقاوية فقد أشار ديموند في كتابه الصلحاء ما أورده هاريس أنه حين اجتمع بأحد أتباع الطريقة الدرقاوية فحكى له من أن شيحه العربي الدرقاوي قد استغرقته وحدانية الله استغراقا فقد كان يوصي تلامذته بألا يرددوا الجزء الثاني من الشهادة بعد لا إله إلا الله إلا سرا نتيجة الاستغراق في وحدانية الله[2]، وقد اعتمدت هذه الطرق الصوفية على تسمية مشايخها باتخاذ ألقاب يعرفون بها كإمام الزهاد وإمام الفريقين وإمام العارفين، وأهل الله، ومن الأسماء، أوحد العلماء أوحد الكبراء أوحد المحققين وأوحد الناسكين وهذه الألقاب لمشائخ الصوفية وأهل الصلاح[3].

أولا: زوايا معسكر بين الزمن التاريخي والموقع الجغرافي.

ومن خلال ما توصلت إليه الدراسات الطوبونيمية كان ثمة علاقة بين المكان التي تتواجد فيه الزاوية وأثر ذلك علة الجانب التاريخي والجغرافي، فأكثرها في منطقة بابا علي وهي منطقة واقعة في الشمال الغربي للمدينة، وهذا ما تثبته المواقعية بمختلف فروعها وإشكالها بأن هذا التواجد بهذا الشكل إذ

---

[1] جكار لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2003، ص 67.

[2] إدموند دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق الدار البيضاء 2014 المغرب، ص 18.

[3] سعود محمد العصفور، ألقاب الصوفية في العصر المملوكي، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، المواقف، منشورات جامعة معسكر العدد الأول ديسمبر 2007، ص 230.

يندرج الأمر تحت قائمة التراث الإنســـاني والمعارف الفكرية التي من بينها كما ذكرنا أســـماء الأماكن، إذ لا يمكن الفصـــل بين الأســـماء أي أســـماء الزوايا والمقومات الثقافية التي تمخضـــت عنها حيث الكثير منها ســـمي وفق الحقبة الصـــوفية أو التوجه الطرقي لهذه الزاوية او تلك، وبالتالي وفق هذه المعايير أصبحت إرثا دينيا وروحيا وحضاريا وتاريخيا فالطوبونيمية أو المواقعية يفتح هذا العلم آفاقا جديدة بالرجوع إلى أصـــل المكان فقد قيل أن الأماكن تتكلم لغة مؤسسيها[1]. فالأسماء ضرورة للأشياء كما يقال.

ثانيا: التأصيل الاصطلاحي لطوبونيميا الزوايا.

تحتل الزوايا والمســـاجد القرآنية بمدينة معســـكر على مكانة تاريخية وحضارية هامتين نظرا لتاريخها الجهادي ولنشاطها الثقافي في مواجهة الاحتلال لفرنســـي[2] وهي زوايا كما ذكرنا عديدة والتي يعود بعضـــها لفترة التواجد التركي بالمنطقة نذكر على سبيل المثال.

الزاوية التجانية الزاوية العلوية زاوية سيدي بن عبد الله زاوية الشيخ سي محمد بلقرد أو جامع الزيتونة، جامع سي الزوبير جامع الشارف زاوية الشيخ بوعمران زاوية الشيخ سي دحو بلعبيد وزاوية الدراويش، وغيرها مما ذكرناه، وقد لعبت هذه الزوايا بمدنية معســـكر دورا كبيرا في ترســـيخ ثقافة الانتماء للعالم

[1] ادريس محمد الأمين إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور استراتيجي، ص 67.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص 84.

الإسـلامي العربي ونشـر روح المقاومة والجهاد وجل المقاومات الشـعبية انطلقت من رحم الزوايا كما ساهمت هذه الزوايا في دعم الثورة التحريرية.

1 ــ الزوايا الواقعة داخل المدينة وطوبونميتها.

طوبونيميا زاوية سـيدي بوسـكرين: المعلومات حولها قليلة وتعتبر من الزوايا الكبرى بمدينة معسـكر، وحسـب مخطوطة موجودة فيا لزاوية توضـح وجودها وقيامها أواخر القرن التاسع هجري وهي في قلب المدينة، ومن شيوخها عبد السـلام الإدريسـي "أما مؤسـس الزاوية فهو يحي بن أحمد بن موسـى بن يعقوب من ذرية سـليمان وكنيته أبو زكريا، ولم اضـاعت اللغة العربية وطغت عليها الدارجة، فصـار الحذف من هذه الكنية وأصـبحت الآن تدعى بوسـكرين وعاش ما بين القرنين التاسع والعشر هجري[1].

الموقع الجغرافي لزاوية سيدي بو سكرين

[1] الشيخ الهاشمي بن بكار، كتاب مجموع الحسب والنسب الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون تلمسان، سنة 1961، ص 05.

طوبونيمية زاوية سيدي بوعمران الخليفي: زاوية سيدي بوعمران من أقدم الزوايا[1]، تعتبر معلما تاريخيا ودينيا وتربويا وروحيا، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا لتعليم القرآن وتدريس علوم الشـــريعة تعاقب عليها شـــيوخ كثيرون ، وعلى امتداد هذا التاريخ ظلت هذه الزاوية تقوم بنشـــاط روحي وعلمي إلى غاية مطلع القرن الواحد والعشـرين بعد وفاة آخر شـيوخها الشـيخ العربي بوعمران البهلولي الخليفي وأطلق عليها اسـم بوعمران إلى مؤسـسـها الشـيخ بوعمران بن الصـغير، غير أن مريديها ما يزالون يترددون عليها في مناســـبات دينية كثيرة كما تؤدى فيها إلى يومنا هذا الصلوات الخمس.

الموقع الجغرافي لزاوية الشيخ سيدي بوعمران

[1] ينظر تقي الدين بوكعبر، بحث عن الشيخ العربي بوعمران وزاويته في تحقيقه للاكسير في تفسير سورة الفاتحة، ص 17.

طوبونيمية زاوية ســـيدي بن عبد الله: وهي زاوية تقع بحي بابا علي العتيق وتنسب إلى مؤسسها وهي زاوية درقاوية من أصول شاذلية وهي مذكورة في كتاب المجاز في الرحلة إلى الحجاز لأحد شيوخها الشيخ العربي[1].

المظهر الخارجي لزاوية سيدي بن عبد الله الغريسي

طوبونيمية زاوية وجامع الزيتونة: جامع الزيتونة أو زاوية الزيتونة يعود تأسيسها ق فترة الاستعمار، وسميت بذلك لوجود ضجرة الزيتون بساحتها، وقد تأسست مع تأسيس زاوية سيدي بن عبد الله، تخرج منها العديد من حفظة القرآن الكريم وتعاقب عليها شيوخ كثير، منهم الشيخ بلقرد لذلك يطلق عليها البعض زاوية بلغرد، ومن الشيخ المتأخرين الشيخ الجيلالي بلحبالي، الذي كان يدرس فيها فقه الإمام مالك حاشية الدسوقي على خليل، وتفسير الصاوي على الجلالين.

[1] العربي بن عبد الله، المجاز في الرجلة إلى الحجاز، تحقيق مخلوفي الميلود المحفوظي، وزارة الشؤون الدينية 2011، ص 12.

المظهر الخارجي لزاوية وجامع الزيتونة بحي بابا علي

طوبونيمية الزاوية التجانية: وعرفها الباحثون من أنها من أهم الطرق الصوفية لما لها من نشاط روحي داخل الجزائر وخارجها[1]. وهي زاوية تقع بقلب مدينة معسكر تنسب إلى الزاوية الأم الواقعة بعين ماضي نسبة إلى المؤسس الأول سيدي أحمد التجاني، لا تزال بها حركة صوفية دائبة ويحفظ فيها القرآن الكريم.

المظهر الخارجي للزاوية التجانية

طوبونيمية الزاوية البودالية الهبرية: وهي زاوية تقع في جنوب مدينة في منطقة دوار السبايس قريبة من مسجد مبايعة الأمير عبد القادر تنسب إلى

[1] انظر بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التجانية نموذجا، دراسة أنثروبولجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع إشراف ميلود اسفاري جامعة سطيف 2، 2014/ 2015، ص 55.

الزاوية إلى الهبرية "الطريقة الهبرية " هي من الطرق الصـــوفية التي تفرعت عن " الطريقة الدرقاوية الشاذلية"، وتنسب إلى " محمد الهبري العزاوي الزروالي " نســبة إلى "بني زروال"، وتأتي زاويته في الأهمية بعد "الزاوية العلاوية" وفي معسكر تنسب وإلى آخر شيوخها سيدي البودالي الذي توفي في مطلع هذا القرن ولا تزال يقرأ فيها القرآن الكريم ويتلى فيها السماع الصوفي ولها لحد اليوم مريدوها وأتباعها.

المظهر الخارجي للزاوية البودالية الهبرية

طوبونيمية الزاوية الحبيبية: هي الزاوية التي تتبع الطريقة الصـــوفية الهاشمية الحبيبية الدرقاوية الشاذلية التي تأسست على يد الشيخ محمد بن الحبيب سنة 1911 وإليه تنتسب، وتجددت هذه الطريقة على يد الشيخ هاشم البلغيثي سنة 1997، وبهذا أخذت اسمها الجديد الطريقة الهاشمية، والحبيبية هي امتداد للتصوف السني المبني على الكتاب والسنة منذ نشأتها إلى وقتنا هذا[1].

[1] مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ص 256.

ومؤسـسـها الأول وحامل لواء الطريقة الجامع بين الشـريعة والحقيقة، هو الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي، وتقع الزاوية في منطقة بابا علي غير بعيد عن ضريح ومدرسة أبي راس الناصري.

المظهر الخارجي للزاوية الحبيبية

طوبونيمية الزاوية العلاوية: تقع هذه الزاوية في قلب مدينة معسـكر، في الجهة الغربية من مدخل منطقة بابا علي، وهذه الزاوية تعتمد على الطريقة العلاوية وهي أحد الطرق الصوفية التي تنتسب للشيخ أحمد العلاوي، ومن بعده الشيخ المداني ومن بعده الشيخ إسماعيل الهادفي في تونس ثم الشيخ الحسن الهادي في ولاية قفصة. وهذه الطريقة يتم فيها اتباع الشيخ وهو حي حتى ينهل منه مريدو الطريق ويأخذ بأيديهم في سـيرهم إلى الله. غير أن تاريخ تأسـيس الطريقة غير متفق عليه، فهناك من يجعل سـنة 1909، والبعض الآخر يجعل تاريخ تأسيسها هو 1914. وهي طريقة من أصول درقاوية شاذلية، وسميت طوبونيميا بالعلاوية نسبة إلى مؤسسها أحمد بن مصطفى بن عليوة العلاوي

والذي ورثها عن شـيخه محمد البوزيدي، المعروف في مسـتغانم بسـيدي حمو الشيخ سنة 1909 ـ كما ذكرنا سابقا . بناء على حوار صحفي في جريدة صوت الأحرار مع خالد بن تونس[1].

ولها أوراد وأذكار تعتمدها في الكثير من الجلسـات وبعد الصـلوات المفروضة، وبعضها يتلى سرا وبعضها جهرا، وأكثرها مستنبطة من كتاب الورد الضاوي، وهو مجموعة من الأذكار[2]، أما السماع فهو من قصائد الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى بن عليوة الواردة في ديوانه[3].

المظهر الخارجي للزاوية العلاوية

[1] خالد بن تونس، "حوار مع عزيز طواهر، جريدة صوت الأحرار، العدد 3491، 12 أوت 2009، ص6.

[2] انظر الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة، النور الضاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلاوي، اعتنى بجمعه عبد العزيز أعراب، ص60.

[3] انظر الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة، الديوان، المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم، ط 4، ص107.

طوبونيمية مسجد المبايعة والمدرسة المحمدية: مسجد المبايعة قبل أن يرتبط بالمبايعة الثانية للأمير عبد القادر سنة 1833م، فهو مسجد تابع للمدرسة المحمدية التي أسسها محمد بن عثمان الكبير باي معسكر، وكان هذا سنة 1781 وارتبط هذا المسجد في العهد العثماني بتحرير مدينة وهران 1792م، وسميت بالمدرسة المحمدية تسبه للباي محمد بن عثمان الكبير مؤسس هذه المدرسة والزاوية وهو من جهزها بمكتبة عظيمة وسخر الأوقاف التابعة للمدرسة في نفقات الطلبة، وهؤلاء الطلبة هم الذين شاركوا في التجرير الثاني لمدينة وهران من الاحتلال الإسباني. وقد سجل ذلك بأمانة بن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني[1]. غير أن المسجد لا يزال قائما إلى اليوم أما المدرسة المحمدية لم يبق لها أثر بسبب الاحتلال الفرنسي الذي قضى على وجودها.

وسمي هذا المسجد بمسجد عين البيضاء لوجود حسب الرواية الشفهية عين بقربه، كما سمي مسجد سيدي حسن، لأن بعد بيعة الأمير فيه حاولت فرنسا إخفاء أثر مبايعة الأمير فدفن بقربه شخص مجهول يسمى حسن فتداولت الرواية الشفهية اسم حسن فسمي كذلك، وهذه واحدة من طوبونيمية الأسماء وتداولها، وفي فصل مطول تحدث عنه يحي بوعزير كما تحدث عن المدرسة المحمدية، وقال إنه معلم حضاري وثقافي ومشهد من مشاهد التاريخ[2].

[1] انظر ابن سحنون الراشدي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص 33.

[2] انظر يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الإسلام ضمن آثاره، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2009، ص 212.

ويبقى الأثر للاســـم الدال هذا المكان وارد ليومنا هذا رقم تعاقب الأزمنة كما أن المؤرخين وقفوا على كل الذين تداولوا هذه المدرســـة من شـــيوخ وطلبة عبر الحقب التاريخية المتعاقبة.

المظهر الخارجي لمسجد المبايعة

2 ــ الزوايا الخارجة عن المدينة وطوبونميتها (زوايا قلعة بني راشد):

وهي الزوايا التي تبعد عن المدينة وتقع في أحوازها وضـــواحيها، وأهمها زاوية سـيدي أحمد بن علي، وزاوية الرماصـي وزاوية الشـيخ البشـير، وأدت هذه الزوايا الثلاث دورا مهما وكان القائمون عليها هم شيوخها فزاوية سيدي أحمد بن علي تعود إلى القرن 11م، وزاوية الشـيخ الرماصـي إلى القرن 18م، أما زاوية الشـيخ البشـير تأسـسـت مع بداية القرن 19 م، وكل هذه الزوايا تقع في أماكن متباعدة عن بعضها البعض بالنظر إلى مقر المدينة.

وهذه الزوايا المتواجدة هنا وهناك من فضاء الراشدية العامر أيضا تداولها المختصون بتسميات إما بالقائم عليها أو نسبة إلى أحد البارزين من شيوخها أو إلى العرش الذي أقيمت فيه، وكل ذلك من خلال مســـاءلتنا الشـــفهية لأهل المنطقة من الذين يحافظون على هذا الموروث.

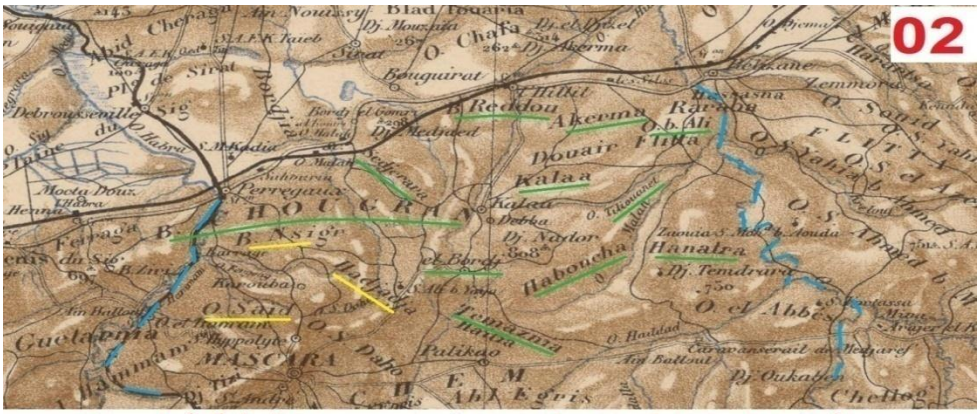

قبائل ارض هوارة واد مينا و واد الحمام حسب مخطوط قلعة بني راشد

طوبونيمية زاوية سيدي أحمد بن علي: من أقدم زوايا حاضرة معسكر والبلاد الراشدية وأرض غريس، منتصف القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد؛ زاوية الإمام سيدي احمد بن علي بن عيسى الصقلي الحسيني، تلميذ الإمام سيدي احمد بن يوسف الملياني.

وبقيت زاويته عامرة إلى حفيده الثالث؛ ليقوم العلماء من ذريته بتأسيس زوايا علمية أخرى، بلغ تعدادها إلى أواخر القرن التاسع عشر تسع زوايا على الطريقة الشاذلية، الدرقاوية، الطيبية[1]، ثم الطريقة التي أسسها حفيده سيدي بن عبد الله وهي الطريقة الشنتوفية الغريسية، هذا فضلا عن تأسيس المساجد والكُتاب والمعاهد، وهي أكثر عددا وأوسع جغرافيةً.

زاوية سيدي أحمد بن علي وضريحه

[1] انظر الهاشمي بن بكار، كتاب الحسب والنسب في الفضائل والأدب في سبعة كتب، ص 134.

طوبونيمية زاوية سيدي عبد القادر بن يسعد: ومن الزوايا زاوية سيدي عبد القدر بن يسعد درس في معهد مجاجة الشهير وقد اخذ عن سيدي محمد بن علي المجاجي وبعد تخرجه انقطع للعبادة والتدريس ببني بردع "بلدية كاشرو" ثم انتقل الى غريس "معسكر" لتدريس والإشراف على نسخ الكتب الدي وصل عددها الى 10 الف كتاب وانتقل بخزانته الثرية بأمهات الكتب والمخطوطات الى منطقة الدبة "القلعة بني راشد" التي اشتهر بمدرسة تخرج منها الكثير من العلماء وفقهاء المنطقة أسس سيدي عبدالقادر بن يسعد قرية الدبة سنة 1625دم وشمل نفوذه قرية الدبة وسكان أولاد الرياح "تمازنية" وبعد حياة قضاها كلها في بث العلم والمعرفة وفي تعليم اجيال من العلماء والفقهاء، توفي سيدي عبدالقادر بن يسعد سنة 1055هجري 1645 وضريحه موجود بالدبة بقلعة بني راشد.

زاوية سيدي عبد القادر بن يسعد وضريحه

طوبونيمية زاوية سيدي مصطفى الرماصي: زاوية الشيخ الرماصي، وصاحبها الشيخ مصطفى بن عبد الله بن مومن (ت1724) كان عالما وفقيها

فعرف بتضـــلعه في الفقه المالكي، ذكره عبد الرحمن الجامعي شـــارح أرجوزة الحلفاوي[1].

وزاويته هي في الأصل مدرسة وقد كانت من زوايا فضاء الراشدية خارج مدينة معسكر حوالي 40 كلم، وتحمل اسمه لأنه ينسب إلى قبيلة الرماصة[2]، والإمام الرماصـي، هو مصـطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصـي المالكي من أعلام الراشدية في القرن الثاني عشر الهجري السبع عشر الميلادي) ومن أهم مؤلفاته حاشيته على شرح التتائي لمختصر خليل.

وللعلم فإن مصـطفى الرماصـي أيضـا أخذ حيّزا من الدراسـات التاريخية وخاصـة الذين اهتموا بالثقافة الجزائرية خلال العهد العثماني، وفصـل في ذلك أبو القاسم سعد الله[3] وناصر الدين سعيدوني[4].

زاوية الشيخ الرماصي ومدرسته وضريحه

[1] الجيلالي سلطاني، قراءة في أرجوزة الحلفاوي في فتح وهران من خلال مخطوط شرح الجامعي للأرجوزة، المجلة الجزائرية للمخطوطات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية جامعة وهران العدد 11 السنة 2004، ص77.

[2] حمدادو بن عمر، من قضايا الثقافة والتراث، دار كوكب للطباعة والنشر الجزائر، ط 1 2019، ص 278.

[3]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 343.

[4]ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والمؤسسة الوطنية للكتاب ج 4، ص 434.

ومن أهم الزوايا زاوية الدراويش والتي تعد من أهم الزوايا التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا ومن مؤسسيها والقائمين عليها الشيخ البشير، وسميت زاوية الدراويش لهذا الاسم لأن كلمة الدرويش تطلق على المريد، والدرويش الفقير إلى الله، وهي تقع تحديدا عن قرب من منطقة تغنيف.

إن الزوايا نرتبط بالولاية والولي، فأكثرها هذه الزوايا هي أمكنة لأضرحة عرفها القاطنين بالمكان عبر التاريخ أنها أصحابها من أهل التصوف والولاية، والولي هو المحب الصديق، وهم من رجال الله، وهم أنواع، منهم من سترهم الله في البداية وأظهرهم في النهاية، ومنهم من أظهرهم في البداية وسترهم في النهاية، ومنهم من اختص الله بمعرفتهم[1]، ومن مقاماتهم الأقطاب والأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء.

ويقول الطوخي، أنه من نظر إلى الولي من الناحية البشرية لا ينتفع به، ومن نظر إليه من الناحية الروحية نال الوصول بسببه، قياسا على المكذبين بالرسل وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق أي نظروا إلى الرسول من الناحية البشرية فكفروا[2].

وفي ختام هذا الفصل نقوا مما استقيناه من جملة المصادر أن مدينة معسكر وسهل عريس والوطن الراشدي أنجلت علماء وفقهاء وشيوخ زوايا شعراء ورحالة وبيوتات علمية توارثت العلم، كعائلة المشارف وعائلة ابن بروكش وعائلة أبي راس وعائلة ابن التهامي وعائلة الشيخ مصطفى الراشدي وابنه ابن محي

[1] عبد الفتاح عبده الطوخي، الولاية الالهية والعلوم اللدنية، مكتبة القاهرة (د ت)، ص 5.

[2] عبد الفتاح عبده الطوخي، المصدر نفسه، ص1.

الدين وغيرهم الكثير، وكل هذه العائلات المذكورة اهتمت بتأســـيس المدارس العلمية والزوايا ومنابر التصـــوف، ويقول الشـــيخ الطيب بن مختار في القول الأعم،" بأن الأشــراف بغريس كان لهم اعتناء كبير بالدين وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الأخرى اللغوية والفقهية والأدبية والتصــوف وعلوم الشــريعة حتى الفلك والرياضــيات، ولهذا كان كل واحد منهم كان يؤســس لنفســه زاوية لتحفيظ القرآن وتلقين العلوم"[1].

ويسجل يحي بوعزيز إشارات في العديد من التسميات التي ربطها بأعلام المنطقة في الوطن الراشــدي عامة القلعة غريس البرج ســيق وغيرها من المدن القريبة من أصل مدينة معسكر[2].

[1] الطيب بن مختار، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، ضم كتاب الحسب والنسب في الفضائل والتاريخ والأدب للهاشمي بن بكار، مطبعة تلمسان،1980، ص 299.

[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر طبعة خاصة، 2009. ج2، ص 230.

الخاتمة

الخاتمة

لقد اتسعت الدراسات الاجتماعية والإنسانية ومسّت الكثير من القضايا، ولعل من أهم القضايا الدراسات الطوبونيمية، لإن للدراسة الطوبونيمية رغم حداثتها لها جذور ضمن ما تواجد في البحوث الإنسانية والاجتماعية، فهي تربط بين هذا الجانب الواسع من الدراسات والأبحاث وبين الدراسات التاريخية والجغرافية وتلك العلاقة بينهما.

ونظرا أن الطوبونيمية الحديثة تشكل تواصلا مع الدراسات التاريخية والجغرافية فلا بد من ربط المفاهيم مع بعضها البعض فالدراسة الطوبونيمية في جوهرها دلالات مهمة في اهتمامها بالبحث عن أسماء الأماكن والمواقع المختلفة ومحاولة تفسير حقيقتها.

ثم إن تأويل أسرارها وفقا لمقاربات تاريخية من الناحية الجيولوجية (علم طبقات الأرض) وخاصة الجيولوجيا تاريخية، وربط ذلك ومن الناحية الأركيولوجيا أي علم الآثار، وكذلك بعلم الأساطير أو الميثولوجيا، وحتى بعلوم الهندسة وعلم مستويات الأرض، ولا بد من دراسة هذه الأماكن وفق مجالها الجغرافي والفلكي وتطور دلالاتها، وما يطرأ عليها من تغيير أو تشويه بفعل الطبيعة أو بفعل الإنسان، والتركيز في ذلك على أصل أسماء الأماكن الخاصة بمناطق هذه المدن من التاريخ القديم إلى يومنا هذا، مع جرد وإحصاء وتصنيف كل ما يتعلق بالأضرحة ومقامات الأولياء بإضافة للمواضع الجغرافية والطبيعة من جبال و وديان ومناطق ساحلية مع معرفة أصولها اللغوية والتاريخية

وتطورها عبر الحقب المختلفة، معرفة أوجه النطق الصوتي والفيلولوجي للتسمية.

وقد تمكننا أي الطوبونيميا من دراسة جميع الوثائق المكتوبة عن هذه الأسماء حتى يمكن فهم ما قصده المجتمع عبر المراحل التاريخية من هذه التسمية، وحينها لا بد من الحرص على الرواية الشفوية التي تمكننا من إضافة قراءة سوسيو ثقافية.

فالدراسة الطوبونيمية هي إحدى آليات البحث التاريخي والجغرافي العميقين بناء على معطيات التحليل المعرفي القائم على البحوث الاجتماعية والإنسانية على حد سواء.

إن المناداة بإعادة كتابة التاريخ الجزائري المحلي بالخصوص لا من الرجوع إلى الذاكرة التي هي كفيلة برد الاعتبار للشخصية الجزائرية ودور ذلك في بناء الحضارة الوطنية ومن هنا لابد من القول بأن اللغة المستعملة للمسميات وهذا ما تمنح للباحث إمكانات هائلة تساعده على تكوين رؤية واضحة للمجتمع المحلي الذي يعيش فيه وتجعله قادرا على فهم واستيعاب مختلف الأحداث التي كانت وراء صنعها أو التي كانت أرضه مسرحا لها. إن اللغة المكنونة في الأشياء من أبنية ومناطق وأسماء لجهات وآثار هي الحاملة للتاريخ والحضارة وهي مرآتها ولسانها، ومن ثم فإن البحث التاريخي بهذه البلاد يقتضي أولا الإلمام بالمحيط اللغوي والثقافي للمنطقة ومحتوياتها المادية.

كما نشير أن الطوبونيميا أداة كبرى لحفظ اللغة والتاريخ والحضارة. إنها الذاكرة الجماعية في صورة حية وناطقة. ومن ثم يصبح مجال البحث

الطوبونيمي نافدة أخرى على التاريخ بمختلف تجلياته: اللغوي والسياسي والحضاري. إنه مساهمة بناءة في محاولة الإحاطة بجوانب من التاريخ الكبير للإنسان الذي سكن ويسكن المنطقة منذ الأزل في اتجاه بناء الشخصية الجماعية القادرة على اقتحام المستقبل.

إن ما قدمناه في هذا البحث ما هو إلا محاولة بسيطة في إطار التخصص الذي يهتم بالمعرفة الطوبونيمية وعلاقتها بالمسميات في إطار اللغة، فلقد حاولت من خلاله إبراز التصور الطوبونيمي لأسماء الأماكن والمواقع داخل الإطار الجغرافي لمدينة معسكر، مع العلم أنها هذه المسميات كلها مرتبطة بالجانب التاريخي والأثري للمنطقة، خاصة ولهذه المسميات كما هو متداول دلالات متنوعة بعضها يعود لخصوصيات التسمية المتعلقة بالمكان في ذاته الخاصة به، وبعضها موثق تاريخيا وكتابيا أما البعض الآخر فهو موثق توثيقا شفهيا، ولكن الدراسة التي اعتمدتها هي التي جعلتني أعتمد من جهة الجانب الكتابي التوثيقي، ومن جهة ثانية الجانب الشفهي انطلاقا مما تناقلته ألسنة الناس مشافهة عن طريق السماع وتناقل الأخبار.

ولا أنسى أن أنوه بكل النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث الذي أخذ مني جهدا كبيرا، خصوصا وأن مثل هذه المسائل لا تزال الدراسات فيها قليلة جدا، لهذا فكل النتائج المتوصل إليها تكاد تكون محصورة في بحوث أكثرها لا يزال مخطوطا ولم يخرج إلى النور بعد، ثم إن الدراسات حول طوبونيمية الزوايا وتسميتها قليلة جدا لخصوصية الموضوع وقلة البحث فيه لهذا أتمنى أن أكون قد حاولت محاولة تضاف إلى مثل هذه الدراسات الجديدة

في موضـــوع طوبونيمية وتســـميات الزوايا بالغرب الجزائري وبالخصـــوص في مدينة معسكر وأحوازها.

كما أتمنى أن أكون قد وفقت في هذا البحث الموجز إلى حد ما كما أتمنى أن يلقى القبول لدى المشرف عليه ولمن يرعونه بالمناقشة، وأشهد الله أني سعيت لإتمامه قدر الاستطاعة، والله الموفق للصواب.

الفهارس العامة

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- **ابراهيم أنيس**، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 3، 1972.

2- **ابراهيم انيس**، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1976.

3- **أحمد مختار عمر**، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط 6، 2006.

4- **أحمد مختار عمر**، البحث اللغوي عند العرب عالم الكتب القاهرة، ط 8، 2009.

5- **البكري، عبيد الله**، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد طبعة 5، 1960

6- **ابن عربي محي الدين** الفتوحات المكية، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت 2010.

7- **ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله**، شـــرح الألفية، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، ط 3، 1985.

8- **ابن هشـــام، جمال الدين الانصـــاري**، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مـازن المبـارك، محمـد علي حمـد الله مـديريـة الكتـب والمطبوعـات دمشق، (د ت).

9- **ابن الأثير** الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3، 1980.

10- **ابن تيمية أحمد**، حكم السـماع، تحقيق حماد سـلامة مكتبة المنار الأردن ط1، 1988.

11- **ابن جني عثمان أبو الفتح** سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، شحاتة عامر، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2007.

12- **ابن خلدون عبد الرحمن**، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ بن خلدون)، وضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 2010.

13- **ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن**، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط1، 1991.

14- **ابن عربي، محي الدين**، الفتوحات المكية، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت، 2010.

15- **ابن عطاء الله السكندري**، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1999.

16- **ابن فارس، أحمد**، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة وال نشر،1997.

17- **ابن القيم الجوزية، الكلام** على مسألة السماع، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، السعودية، 2010.

18- **ابن الصباغ**، درة الأسرار، وتحفة الأبرار، في أحوال وأفعال وأحوال وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبي الحسن الشاذلي، مكتبة الفجر الجديد القاهرة مصر (د.ت).

19- **أبوراس الناصـري** الاكسـير في تفسـير سـورة الفاتحة تحقيق بوكعبر تقي الدين،2016.

20- **أبو راس الناصـري**، فتح الإله ومنته في التحدث في فضـل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب.

21- **أبو القاسـم سـعد الله**، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصـة، 2013، أبو **القاسـم سـعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي عالم المعرفة للنشـر والتوزيع الجزائر ط 1، 2015، **ادريس محمد الأمين** إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور استراتيجي.

22- **إدموند دوتي**، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشـر، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشـرق الدار البيضـاء 2014 المغرب.

23- **الأزمي أحمد**، الطريقة التيجانية خلال القرن التاسـع عشـر ميلادي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.

24- **إيغور مـالتشـوك، أنـدري كلاس، الان بولغار**، مقدمة لمعجمية الشـرح والتأليفية، ترجمة، هلال بن حسينـ المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2010.

25- **بشـير مقيبس** مدينة وهران دراسـة في جغرافية العمران، المؤسـسـة الوطنية للكتاب، ط4، 1978.

26- **بوكاري أحمد**، الأعلام الجغرافية مصـدرا من المصـادر الحضـارية، الاسـم الجغرافي تراث وتواصل، الرياض المملكة العربية السعودية ط1، 2005.

27- **تريكار**، مدخل إلى الأعمال التطبيقية في الجغرافيا، ترجمة حليمي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

28- **توفيق المدني**، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب،

29- **التجاني الشيخ محمد العربي العمري**، بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1973، ص5.

30- **الجاحظ، عمرو بن بحر**، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون

31- **جاكر لحسن**، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر، 2003.

32- **الجزولي محمد بن سليمان**، دلائل الخيرات ومعه مجموعة مباركة من الآيات والأوراد والأدعية والقصائد، اعتناء محمد بن ماجد الخطيب، دار نور الصباح، بيروت ط1، 2012.

33- **جورج ضو**، تاريخ علم الآثار ترجمة بهيج شعبان، المكتبة العلمية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

34- **جلال يحي**، المغرب الكبير (العصور الحديثة) دار النهضة العربية بيروت 1981.

35- **الجيلالي عبد الرحمن**، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة لبنان، الطبعة السادسة 1983.

36- **الجيلاني عبد القادر**، الفتح الرباني والفيض الرحماني، منشورات الجمل بغداد ط1، 2008.

37- **حلمي خليل**، دراسات في اللغة والمعاجم دار النهضة العربية بيروت، ط1، 1998.

38- **حمدادو بن عمر**، من قضـايا الثقافة والتراث، دار كوكب للطباعة والنشـر الجزائر، ط1، 2019.

39- **الحموي، يـاقوت بن عبـد الله**، معجم البلـدان، تقديم محمـد عبـد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1،2008.

40- **الخويســـكي زين كـامـل**، المعـاجم العربيـة قديمـا، وحـديثـا، دار المعرفـة الجامعية، د ت، 2007م.

41- **رابح بونار**، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1968.

42- **الراشــدي علي بن ســحنون**، الثغر الجماني في ابتســام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية، للشـــر والتوزيع الجزائر طبعة خاصة، 2013.

43- **رشـيد النـاضـوري**، المغرب الكبير (العصـور القديمة) دار النهضـة العربية بيروت، 1981.

44- **الزمخشــري، أبو القاســم محمود بن عمر**، أســاس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1987،6.

45- **الزيدي نجيب عبد الرحمن**، نظم المعلومات الجغرافية GIS، مؤســســة الوراق للنشر الأردن، 2011.

46- **ســـالم أونيس فتحي بن معمر، محمد الحباســـي،** اللغة العربية الدلالات والصيغ، الترادف، دار النشر الجامعي الجديد، تونس، 2014.

47- **الســـخاوي،** الإعلان بالتوبيخ بمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي بيروت، ط 5، 1979.

48- **سعاد الحكيم** المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1، 1981.

49- **الســـعران محمود** علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضـــة العربية بيروت، (د ت). **ســـعيدوني نـاصـــر الدين،** الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والمؤسسة الوطنية للكتاب.

50- **ســعيدوني ناصــر الدين،** دراســات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤســســة الوطنية للكتاب الجزائر، 1973.

51- **ســعيدوني ناصــر الدين،** عصــر الأمير عبد القادر، دار بني مزغنة للنشــر والتوزيع الجزائر، 2016، **ســيبويه أبو بشــر الكتاب،** تحقيق عبد الســلام محمد هارون، دار الجيل بيروت (د ت).

52- **ســـيدي علـى حرازم،** جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض ســـيدي أبي العباس التجاني، المكتبة التوفيقية ط1، 2013.

53- **الشعراني عبد الوهاب** الطبقات الكبرى دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

54- **الصـــاعدي عبد الرزاق،** بحث خلل الأصـــول في معجم الجمهرة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة (د ت).

55- **صلاح مؤيد العقبي**، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، ط1، 2002.

56- **صبحي الصالح**، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين بيروت، ط 4 1999.

57- **الطبري**، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت، ط3، 1992.

58- **الطوخي عبد الفتاح عبده**، الولاية الالهية والعلوم اللدنية، مكتبة القاهرة (د ت).

59- **الطيب بن مختار**، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، ضمن كتاب الحسب والنسب في الفضائل والتاريخ والأدب للهاشمي بن بكار.

60- **عبد الحليم محمود**، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.

61- **عبد القادر بن دعماش**، سيدي لخضر بن خلوف أمير شعراء الملحون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ط 1، 2018.

62- **عبد القادر الجيلاني**، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الكتاب العربي 1980.

63- **عبد القادر ياسين**، القوة الفاعلة الزوايا والمجتمع، دار الحكمة للنشر والترجمة.

64- **العربي بن عبد الله**، المجاز في الرجلة إلى الحجاز، تحقيق مخلوفي الميلود المحفوظي، وزارة الشؤون الدينية 2011.

65- **عزوق عبد الكريم**، زوايا ومدارس الجزائر، دراســـة أثرية معمارية فنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، 2014.

66- **عفيف محمد**، مختصر سيرة ابن هشام السيرة النبوية دار النفائس بيروت ط 3، 1981.

67- **العلاوي الشـــيخ أحمد بن مصـــطفى بن عليوة**، الديوان، المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم، ط 4، 1999.

68- **العلاوي الشـيخ أحمد بن مصـطفى بن عليوة**، النور الضــاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلاوي، اعتنى بجمعه عبد العزيز أعراب (د ت).

69- **عليان عبد الفتاح، كمال أحمد المقابلة**، ابن دريد الأزدي أعلو الشـــعراء وأشعر العلماء، جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، عمان 2011.

70- **الغرناطي أبو حامد**، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب تحقيق إســـماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989.

71- **الفارس رائد بشير**، التمثيل الخرائطي الفعال لمتغير الحبة Grain في نظم المعلومات الجغرافية GIS، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان.

72- **فؤاد محمد بن غضـــبان**، نظم المعلومات الجغرافية دار النهضـــة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1972.

73- **الفيروز آبادي**، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشـــر بيروت، 1983.

74- **الفيومي**، المصباح المنير مادة (عجم)، أ اعتنى بها يوسف الشيخ محمد، لمكتبة العصرية بيروت، ط 1، 1996.

75- **القادري الحاج اسماعيل**، الفيوضات الربانية، في المآثر والأوراد القادرية، (د ت).

76- **القاعوري أسامة صبحي**، الجغرافيا السياحة ما بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر الأردن، 2011.

77- **قدور بن محمد بن رويلة**، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي الجزائر، الطبعة الأولى، 2017.

78- **محمد بن الأمير عبد القادر**، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي المطبعة التجارية بيروت.

79- **محمد حجي**، الزاوية الولائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 1988.

80- **محمد خالد حسين**، حساب المثلثات المستوية، مطبعة المعارف مصر، ط4.

81- **محمد كمال إبراهيم جعفر**، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار الكتب الجامعية، 1970.

82- **محمد ماهر حمادة**، المصادر العربية والمعربة، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع بيروت، ط 6، 1987.

83- **محمد المبارك**، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط 2، 2005.

84- **محمد عبد الجواد محمد علي**، نظم المعلومات الجغرافية (الجغرافية وعصر المعلومات) ط1، 2001 دار صفاء للنشر والتوزيع عمان.

85- **محي الدين بن مصطفى الراشدي**، إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين تحقيق صلاح الدين بن نعوم، دار السادة المالكية الجزائر ط1، 2022.

86- **المهدي البوعبدلي**، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2012.

87- **الميلي مبارك**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د ت).

88- **نبيل علي** اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، دار الكتب الأردن 1988.

89- **الهاشمي بن بكار**، كتاب الحسب والنسب في الفضائل والأدب في أربعة كتب، المطبعة ابن خلدون تلمسان1961.

90- **هنري تشرشل، شارلز** حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبي القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر 2011.

91- **الوزان الحسن (ليون الإفريقي)** وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط3، 1983.

92- **يحي بوعزيز**، المساجد العتيقة في الغرب الإسلام ضمن آثاره، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2009.

93- **يحي بوعزيز**، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009.

94- **يحي بوعزيز**، مدينة وهران عبر التاريخ، ضمن أثار الدكتور يحي بوعزيز، دار صادر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009.

95- **يحي بوعزيز**، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر طبعة خاصة، 2009.

96- **يوسف خطار** السيرة المرضية لمؤسسي الطرق الصوفية، دار المناهل سوريا، الطبعة الثانية (د ت).

المعاجم والقواميس والموسوعات

1- **الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد**، تهذيب اللغة، تحقيق أحمد مخيمر دار الكتب العلمية، ط 1، 2004.

2- **إبراهيم زكي خورشيد** وآخرون دائرة المعارف الإسلامية تحقيق مركز الشارقة للإبداع الفكري ط 1، 1998.

3- **إبراهيم مصطفى** وآخرون المعجم الوسيط، إشراف، (د ت).

4- **ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن**، جمهرة اللغة، بدار صادر بيروت طبعة جديدة، 2010.

5- **ابن سيده، أبو الحسن علي**، المخصص، دار الكتب العلمية بيروت (د ت).

6- **ابن فارس، أحمد** معجم مقاييس اللغة، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1999.

7- **ابن منظور** (جمال الدين أبو الفضل)، لسان العرب، مادة (عجم) ج 4ص267، دار صادر بيروت، ط1، 1997.

8- **أحمد مختار عمر**، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.

9- **الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد**، معجم مفردات ألفاظ الفرآن، تحقيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006.

10- **أكاردو**، معجم قبائل ودواوير الجزائر إشراف لومير دي فيلر' ترجمة حمزة الأمين يحياوي، مالك بن خيرة، عالم المعرفة الجزائر، 2017.

11- **أيمن عبد الرزاق الشوا**، معجم أسماء الأفعال في اللغة العربية، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ط1، 2006.

12- **الجرجاني الشريف**، كتاب التعريفات دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

13- **جروان السابق**، معجم اللغات الوسيط (انكليزي فرنسي عربي، دار سابق للنشر بيروت، ط1، 1985.

14- **الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد**، تاج اللغة وصحاح العربية طبعة جديد مصححة، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 5، 2009.

15- **الحاجي خليفة** في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

16- **الحموي ياقوت بن عبد الله**، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي بيروت ط 2 2009.

17- **السامرائي إبراهيم**، معجميات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 1991.

18- **سـهيل إدريس،** المنهل قاموس فرنسـي عربي، دار الآداب للنشـر والتوزيع بيروت ط 42، 2010.

19- **الفراهيـدي الخليـل بن أحمـد،** كتـاب العين، تحقيق مهـدي المخزومي، وإبراهيم السمرائي، دار الكتاب العربي بيروت ط5، 1978.

20- **فريد وجدي** دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة بيروت ط3 1998، دار المعرفة بيروت.

21- **القنوجي الحسـن،** أبجد العلوم، الوشـي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1978.

22- **الكاشـاني عبد الرزاق،** اصـطلاحات الصـوفية، تحقيق وتقديم وتعليق عبد العال شاهين دار المنار القاهرة ط1، 1992.

23- **المجلس الأعلى للغة العربيـة،** المعجم الطوبونيمي الجزائري، منشـــورات المجلس 2021.

<u>المجلات العلمية</u>

1- **بن داهـة عدة** معســـكر عبر التـاريخ، المخبر العلمي للمخطوط، الـدار الخلدونية، الجزائر ط1، 2005. **بن مزوز عامر، مسـيكة محمد،** الطريقة العلاوية طريقة صـــوفية بطريقة عصـــرية، مجلة عصـــور جديدة جامعة وهران، مجلد 7 العدد 2،2015.

2- **الجيلالي ســـلطاني،** قراءة في أرجوزة الحلفاوي في فتح وهران من خلال مخطوط شـــرح الجامعي لأرجوزة، المجلـة الجزائريـة للمخطوطـات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية جامعة وهران العدد 11 السنة 2004.

3- **السطلي عبد الحفيظ،** المعجمات العربية نشأتها وأطوار التأليف فيها، مجلة التراث العربي دمشق العدد 77 السنة 2010.

4- **سـعود محمد العصـفور**، ألقاب الصـوفية في العصـر المملوكي، مجلة الدراسـات والبحوث في المجتمع والتاريخ، المواقف، منشـورات جامعة معسكر العدد الأول ديسمبر 2007.

5- **طاعة سـعد،** الدور العلمي لزوايا ومدرس ومسـاجد معسـكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، مجلة االجزائرية للبحوث والدراسـات التاريخية المجلد 05العدد –10ديسمبر 2019.

6- **طيب جاب الله،** دور الطرق الصـوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البويرة، العدد 14، السنة 2014.

7- **عبد الجليل سـاقي،** الطريقة القادرية كمنهج في التصـوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسـات الإنسـانية المجلد 9 العدد 18 السـنة 2019 جامعة سكيكدة.

8- **عبد القادر زمامة،** مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشـؤون الإسـلامية المغرب.العدد 234، مارس1989.

9- **العماري الطيب،** الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، مجلدة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 15 جوان 2014.

10- **غرس الله عبد الحفيظ،** الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية، مقاربة سوسيو تاريخية مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ المواقف، منشورات جامعة معسكر العدد 1، السنة 2007.

11- **قرمان عبد القادر**، الزوايا في معسكر خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، منشورات جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، المجلد 17 العدد 1.

12- **نجيب بن خيرة**، الزوايا في الجزائر...وفريضة التعليم الغائبة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المجلد 2 العدد 16.

13- **يحي بوعزيز**، مقال بجريدة الأحرار العدد 111، الأربعاء 08 جويلية 1998.

14- **عبيد بوداود**، معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية، كتاب جماعي معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، دار الرشاد للطباعة والنشر الجزائر، ط1، 2014.

<u>الرسائل الجامعية</u>

1- **بوغديري كمال**، الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التيجانية نموذجا دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع إشراف ميلود اسفاري جامعة سطيف ط 2، 2014/ 2015.

2- **شـدري معمر رشـيدة**، العلماء والسـلط العثمانية في الجزائر فترة الدايات 18301671 مذكرة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف د موساوي القشاعي، جامعة الجزائر.

3- **علي بن العيفاوي**، مدينة معســـكر ودورها في العهد العثماني، مذكرة ماجســتير في التاريخ لحديث، إشــراف د. مريم صــغير، جامعة الجزائر 2008/ 2009.

<u>الندوات والملتقيات</u>

1- **الملتقى الوطني حول إســـهامات العلماء الجزائريين القدامى في علوم العربية** مداخلة صـالح بلعيد، بمناسـبة اليوم العالمي للغة العربية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 22 ديسمبر2022م.

2- **الملتقى الوطني الثـالـث للطريقـة القـادريـة**، بعنوان التربيـة الروحيـة في الطريقة القادرية بالزاوية القادرية بالرويســـات وجامعة قاصـــدي مرباح 13/15./ماي2008.

3- **ملتقى الطريقة العلاوية**، سنة 25 / 31 جويلية 2009.

4- **جريدة صوت الأحرار**، العدد 3491، 12 أوت 2009.

الإهداء
المقدمة.....4
مدخل 13
تمهيد.....**14**
أولا: الطوبونيمية وتـــــاريخ الحضـارات.....16
الطوبونيميا وعلاقتها بجغرافية الزوايا 17
ثالثا: الطوبونيميا والتاريخ الجماعي.....21
رابعا: مسار التحليل الطوبونيمي.....22
خامسا: الطوبونيمية والرواية الشفوية.....26
سادسا: اللسانيات الحاسوبية والإحصاء الطوبونيمي.....30
سابعا: قواعد بيانات في نظام المعلومات الجغرافية.....32
1ـ معالجة المعلومات المكانية وتصحيحها.....37
2 ـ نظم المعلومات البينية للأماكنية وتسمياتها.....38
الفصل الأول: دراسة في المعاجم والمعجمية
تمهيد.....**42**
المبحث الأول: دراسة عامة للمعاجم العربية واصطلاحاتها اللغوية.....**44**
أولا: أنواع المعاجم الشروط والوظيفة 46
ثانيا: المعجم بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية.....48
ثالثا: المعجم والمصطلح اللغوي.....49
المبحث الثاني: المعجم العربي النشأة والتطور.....**51**
أولا: المعجم بين المصطلح والدلالة.....52
ثانيا: المعاجم اللغوية بين التدرج والمرحلية.....53

المبحث الثالث: الصناعة اللغوية والاصطلاحية للمعجم..... 59
أولا: المعجم وربط الألفاظ بالمعاني..... 62
ثانيا: المعجم الاصطلاحي المتخصص..... 68
ثالثا: الأبعاد المعرفية للمعجم المتخصص 71
المبحث الرابع: المعجم الطوبونيمي ودلالة أسماء الأمكنة..... 76
أولا: المعجم الاصطلاحي للطوبونيميا 77
ثانيا: الطوبونيميا والتراث العربي القديم..... 78
ثالثا: الطوبونيميا والدراسات اللسانية..... 80
رابعا: معايير صياغة التعريف القاموسي..... 81
الفصل الثاني: زوايا الغرب الجزائري بين الدور التاريخي والتواجد الجغرافي
تمهيد 84
المبحث الأول: الزوايا بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي..... 86
أولا: الزاوية في الدلالة اللغوية..... 87
ثانيا: الدلالة الاصطلاحية..... 90
المبحث الثاني: الزاوية والتراث التاريخي 93
أولا: الجانب الأنثروبولوجي..... 95
ثانيا: الإطار الاجتماعي والإنساني للزوايا 96
ثالثا: الزاوية صلة روحية داخليا وخارجيا..... 97
المبحث الثالث: الزوايا ومنابر التأسيس الصوفي في الجزائر 99
أولا: الزاوية وآفاقها في مناطق الغرب الجزائري..... 104
ثانيا: زوايا الغرب الجزائري والاستعمار الفرنسي..... 105
ثالثا: زّوايا الغرب الجزائري والحركة الوطنية 106
المبحث الرابع: التشكيل المكاني الطوبونيمي لمواقع زوايا الغرب الجزائري..... 109

أولا: التواجد المكاني الطوبونيمي لزوايا الغرب الجزائري 111
ثانيا: طوبونيمية زوايا مدينة وهران وأماكن تواجدها..... 115
ثالثا: طوبونيميا زوايا مدينة عين تموشنت وأماكن تواجدها..... 126
رابعا: طوبونيمبة زوايا مدينة سعيدة وأماكن تواجدها 128
خامسا: طوبونيمبة زوايا مدينة مستغانم وأماكن تواجدها 130
سادسا: طوبونيمبة زوايا مدينة غليزان..... 131
الفصل الثالث: زوايا مدينة معسكر دراسة طوبونيمية
تمهيد 137
المبحث الأول: معسكر التاريخ والتصوف 139
أولا: الجانب الجغرافي والتاريخي للمدينة 139
المبحث الثاني: الزوايا وحاضرة معسكر التاريخية..... 146
المبحث الثالث: طوبونمية أسماء المواقع بمدينة معسكر 150
أولا: التسميات وعلاقتها بالجانب اللغوي 150
ثانيا: زمالة الأمير عبد القادر وزاويته (المفهوم الطوبنيمي) 156
المبحث الرابع: عروش ودواوير منطقة معسكر، والتسمية الطوبونيمية 159
المبحث الخامس: معجمية الزوايا المعسكرية قراءة في الجذور من المنظور الطوبونيمي..... 167
أولا: الزاوية القادرية للأمير عبد القادر زاوية القيطنة (نظرة طوبونيمية) 168
ثانيا: زاوية أبي راس الناصري..... 170
ثالثا: جدول بأهم زوايا معسكر 171
المبحث السادس: الزوايا وطرق التصوف في حاضرة معسكر وطوبونيمية الأسماء 174
أولا: زوايا معسكر بين الزمن التاريخي والموقع الجغرافي 180
ثانيا: التأصيل الاصطلاحي لطوبونيميا الزوايا 181
1 ـ الزوايا الواقعة داخل المدينة وطوبونميتها 182

2 ـ الزوايا الخارجة عن المدينة وطوبونميتها (زوايا قلعة بني راشد) 190

الخاتمة **197**

الفهارس العامة

الفهرس مصادر والمراجع 202

فهرس المحتويات 218

الملخص **222**

الملخص

إن هذا البحث نسعى من خلاله إلى إبراز الزوايا في منطقة الغرب الجزائري وربط ذلك بالمكان الجغرافي والتاريخي، وأيضا جمع آراء المتخصصين في هذا المجال ومناقشتها، كما يسعى البحث لمعرفة القواعد التي تقوم عليها الطوبونيميا والهدف من دراستها وتطبيقها في مجال المعرفة الجغرافية والطوبوغرافيا.

كما يسعى البحث إلى الحفاظ على التاريخ الحضاري للنشوء القديم للزوايا، والحفاظ على الهوية الوطنية والموروث القديم، والسعي وراء إبراز إسهامات هذه الزوايا في الحضارة العربية الإسلامية وفي الحياة الدينية والثقافية.

ومن خلال البحث الطوبونيمي نتعرف عن الأصول والجذور لهذه الزوايا وشيوخها الصوفيين وأسباب وجودها والمراحل المساعدة على نشأتها. ولعل هذا البحث يسعى إلى تثبيت الرؤية التاريخية التي اهتم بها المصادر المكتوبة والشفوية خوفا من ضياع هذا الموروث التاريخي والإنساني والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الزوايا، الطوبونيميا، الصوفية، معسكر، التاريخ، الجغرافيا.

Summary

Through this research, we seek to highlight the angles in the western Algerian region and to relate this to the geographical and historical place, as well as to collect and discuss the opinions of specialists in this field. In geography and topography

The research also aims to preserve the cultural history of the ancient emergence of zawiyas, the preservation of national identity and ancient heritage, and the continued enhancement of the contributions of these zawiyas to Arab-Islamic civilization and religious and cultural heritage life.

Through toponymic research, we learn the origins and roots of these zawiyas, their Sufi sheikhs, and the reasons for their existence and the stages that contributed to their emergence. Perhaps this research seeks to confirm the historical vision with which written and oral sources have been preoccupied, for fear of losing this historical, human and social heritage.

Keywords: Zawiyas, toponymy, Sufism, Mascara, history, geography.